

الشيخ محمد خليل المزلاوي

“رائد الصناعة في الصعيد”



وحدة التطوير المؤسسي - وزارة الاستثمار



سلسلة رواد الاستثمار

الشيخ محمد محمد خليل المزلاوي

رائد الصناعة في الصعيد

ممدوح العشري

مقدمة

لا يوجد فى الحياة رجل فاشل ..

ولكن يوجد رجل بدأ من القاع وظل فيه .

ويوجد فى الحياة رجل ناجح ..

بدأ من القاع .. ووصل إلى القمة

وهذا هو العصامى ..

والعصامى كما تقول مراجع اللغة العربية كل من نجح .. ووصل إلى مراتب عالية بجده

واجتهاده دون أن يعتمد فى ذلك على غيره من عشيرة أو قبيلة .. أو حتى إرث .

وفى دراسة أمريكية للدكتور توماس ستانلى أستاذ الاقتصاد فى جامعة نيويورك عن أثرياء

أمريكا .. أشار إلى أن ٩٠ ٪ من بليونيرات أمريكا درسوا فى المدارس العامة .. و٧٥ ٪ منهم بلغوا

الثراء بعد الثلاثين من عمرهم .. و ٨٦ ٪ بدأوا بأقل من عشرة آلاف دولار .. و ٢٠ ٪ بدأوا من

الصفراً تماماً .

ووفقاً لقائمة الباحث الأمريكى فوريس فإن ثلثاً أكبر ٤٠٠ ثرى أمريكى من العصاميين بنوا

إمبراطورياتهم الضخمة من لا شىء .

وفى العالم العربى ..

وخاصة فى مصر نجد أن معظم الأثرياء من بيوت وعائلات ورثت ثرواتها ولم تصنعها ..

واللافت أيضاً أن قصص النجاح والعصامية شبه مفقودة إلا ما ندر .. فقصص النجاح فى هذا

السياق قليلة

من هنا ..

نجد أننا فى حاجة ماسة لقصص النجاح غير المسبوقة .. نعرضها لهدفين مرتبطين

ببعضهما،

.. الأول ..

إلقاء الضوء على البطل العصامى .. الذى لم يعتمد على ثروة ورثها أو جاء يستمد منه

قوته .. ولكنه اعتمد على الله سبحانه وتعالى .. ثم .. على جهده وفكره.

.. والثانى ..

أن نقدم هذه القصة الحقيقية والواقعية لشبابنا .. حتى يرتفع سقف طموحاتهم ..
دون تقليد أعمى لظروف قد تختلف عن ظروفهم فيفشلوا ويصابوا بالإحباط ..
والدرس هنا ..

أن يبتكروا وفق الظروف المحيطة بهم .. لأن الرجل العصامى دائماً ما يظهر بأفكاره
الخلاقة .. وابتكارات لم يسبقه أحد إليها .. فتتفجر طاقاته المكبوتة .. ويدخل إلى عالم
الثروة من أوسع أبوابه .. دون أن يساعده أحد .
ومن هذه النوعية ..

نعيش مع قصة رجل عصامى بدأ من الصفر .. ومن أين ؟ .. من صعيد مصر .. إلى القاهرة
ثم العودة إلى الصعيد مرة أخرى .. ليبنى امبراطورية صناعية ضخمة وصل إنتاجها إلى جميع
محافظة مصر .. فقد كان يؤمن بأن تطوير الصناعة المصرية هو نوع من أنواع الجهاد .. تتساوى
مع من يدافعون عن تراب مصر ..

وأن رجل الأعمال الناجح لا يغلب هواه عقله .. ولا عجزه صبره .. ولا تستخفه الإغراءات
ولا تشغله التوافه ..

فالرجل الناجح هو من يقوم بعمل مشاريع يعجز عنها الخيال .. وتبهر عظماء الرجال ..
وتثير الدهشة والغرابة والتعجب من عظمتها .. وهذا هو رائد الصناعة فى الصعيد الشيخ
محمد محمد خليل المزلاوى.

ممدوح العشرى

الفصل الأول بر الإبن لأبيه

- ١ -

بر الآباء .. أمر إلهى لكل إنسان ..

والخير كل الخير لمن يبرهما فى الحياة أو بعد الممات ونحن هنا بصدد نموذج حى لبر الآباء .. وخاصة الأب.

هذا النموذج يتمثل فى رجل شاهدت فيه البر متجسدا فى شخصه الكريم .. حب .. وعشق .. وإخلاص .. وانتماء لأبيه فى أقصى درجات كل هذه الكلمات وبما تحمله من معان سامية ..

رغم مرور أكثر من أربعين عاما على وفاته ..

إلا أننى حينما جلست معه لأستكشف أغوار والده .. شعرت فى كل كلمة يتحدث بها عنه بمدى الحب الذى يكنه له .. حتى أننى شعرت فى بعض الأوقات أنه يحبس دمعاته فى مقلتيه .. وكأنه يريد أن يقول .. آه لو عدت إلى الحياة مرة أخرى يا أبى .. لوضعتك كما كنت أضعك دائما فى قلبى داخل ضلوع صدرى - هذا الرجل الذى يجبر كل من يتعامل معه على احترامه وتقديره هو إبراهيم المزلاوى رئيس مجموعة المزلاوى القابضة للاستثمارات المالية .. وعضو المجالس القومية المتخصصة .. الابن البار بوالده .. بطل قصتنا الشيخ محمد محمد خليل المزلاوى.

وحقيقة لقد بذل معى الأستاذ إبراهيم المزلاوى مجهوداً ضخماً فى البحث والتنقيب فى حياة والده من القرن الثامن عشر .. أى من الجذور .. جذور عائلته .. وبالمستندات التى تؤكد كل ما ذكر عنه .

- ٢ -

والشيخ محمد محمد خليل المزلاوى .. واحداً من العصاميين رغم ثرائه .. وامتلاكه للعديد من الأفدنة الزراعية إلا أنه ترك هذه الأراضى الزراعية .. ليبنى مجده الاقتصادى بعزيمة كالصخر.

والتأمل لقصة حياته .. ونجاحاته وانكساراته .. لا يمكن أن يتصور أنها جرت على أرض الواقع .. ولو كانت فيلماً سينمائياً .. لما وصل خيال مؤلفه لأحداث قصة هذا الرجل الذى عاش

ومات واقفاً رغم المأسى التى صادفته .. ولو كانت لرجل غيره لانكسر مع أول انتكاسة تعرض لها .. ولكنها الإرادة الحديدية وقوة الشكيمة .. والإصرار والجلد .. ليقف بعد كل مرة يقع فيها .
وبين البدايات الصعبة والإنجازات الكبرى .. كانت هناك حلقات متواصلة من المعاناة والألم والصدمات والمحاولات الجادة للبقاء .. والوقوف صامداً أمام الرياح العاتية التى تأخذ فى طريقها الأخضر واليابس .. كل ذلك لصنع الذات .. وتحقيق الأحلام المشروعة لإنسان ولد ليصارع ويحارب ويقاقل من أجل أسرته .. ومن أجل ذاته .. ومن أجل وطنه .

- ٣ -

رحلة طويلة بدأت من الصفر .. ووصلت إلى قمة النجاح .. بذل فيها كل جهده بالإخلاص والأمانة والعمل المضنى .. وبمزيج من الصبر والأمل .. قفز فوق بوابات التحدى .. وترك المعلقة الذهب .. ترك الزراعة .. وارثه من الأراضي الزراعية لآخوته .. دون ندم أو حزن على ماتركه .. وانطلق متجهاً إلى عشقه منذ نعومة أظفاره .. إلى التجارة .. والتى بدأها ببيع الحلوى لأطفال قريته .. وهو فى سن الخامسة عشرة من عمره .. وفى هذا السن الصغير .. ظهرت بوادر عبقريته .. تلك العبقرية التى لا تظهر إلا فى مواقف بعينها تفصل بين حياة وحياة .. وتمر على غيره مرور الكرام .. فقد هداه فكره لبيع الحلوى بقطع من القطن .. فكرة لا تخطر على بال أى إنسان عادى .. يفرح بالمليم وقتها - وهى عملة مالية صغيرة جداً تشبه الخمسة قروش الآن .. مع الفارق فى القيمة - ونفذ فكرته .. واشترى منه الأطفال الحلوى بقطع القطن .. والتى كان يجمعها ليبيعها مجمعة .. فيكسب منها أضعاف ما كان سيكسبه بقطع النقود الصغيرة .. وكانت البداية .. بداية امبراطوريته .. امبراطورية الشيخ محمد محمد خليل المزلاوى .. ابن محافظة سوهاج .. عروس النيل .. وأرض الأحلام .

الفصل الثانى

أرض الرجال

- ١ -

استمد الشيخ محمد المزلاوى قوة عزيمته من عروس النيل .. من سوهاج التى تميزت بموقعها الرائع .. الذى يتوسط محافظات صعيد مصر .. ويمتد تاريخها إلى العصور القديمة .. وكانت تسمى أبيدوس - الواقعة الآن فى مركز البلينا - عاصمة مصر فى عصور الأسر الأربعة الأولى - ومنها الملك مينا أو نارمر الذى يجمع معظم المؤرخين على أنه أول موحد لمصر خلال العصور القديمة.

- ٢ -

وفى العصر الإسلامى كانت المنطقة التى تتشكل عليها المنطقة الآن جزءاً من ولاية مصر الإسلامية على مدار تاريخ الأسرة الحاكمة فى الدولة الإسلامية . وأثناء حكم العثمانيين لمصر تحولت المنطقة التى تقع عليها المحافظة الآن إلى ولاية خاصة .. كانت تسمى ولاية الصعيد .. أو ولاية جرجا .. حاضرة المحافظة فى العصور الوسطى من حكم محمد على .. وعند تقسيم مصر إلى مديريات .. سمت بمديرية جرجا .. ويرجع اسم جرجا إلى الاسم الفرعونى جرجيو وهى أخت لرمسيس الثانى .. وكانت تعتبر مدينة جرجا أيام الدولة العثمانية ولاية مستقلة .. يأتياها الوالى من قبل السلطان العثمانى .. وكانت .. ولا زالت .. مدينة تجارية هامة .. ومن أهم المدن فى صعيد مصر .. حتى عرفت بمدينة العلم والعلماء .. وأصبحت جرجا إحدى مديريات مصر الأربع عشر فى عصر محمد على.

- ٣ -

وتتبع جرجا مركز ومدينة البلينا .. وتعتبر من حيث تعداد السكان .. إحدى المدن الكبيرة .. وتتميز بالنشاط التجارى الواسع .. ولها تاريخ فرعونى كبير .. وبها معبد أبيدوس الشهير .. وعاش بها الفراعنة .. وبنوا حضارة كبيرة فيها.

أما تاريخها الإسلامى فيظهر من خلال مدينة برديس وكان لها دور كبير فى العصر المملوكى .. وبمركز البلينا يقطن العديد من القبائل العربية التى جاءت إبان الفتح الإسلامى .. ومنها قبيلة بنى تميم .. أصل عائلة المزلاوى.

- ٤ -

هاجرت قبيلة بنى تميم من الجزيرة العربية إلى مصر .. واستوطنوا فيها .. وانتشر أغلبهم في صعيد مصر .. وهناك قرى مشهورة لبنى تميم مثل تل بنى تميم بشبين القناطر التابع لمحافظة القليوبية .. وقرية بنى مر فى الصعيد .. وبنو تميم الذين سكنوا شبين القناطر هم من أخوة جزام .. وهم بنو الصحابى الجليل تميم الدارى من بنى الدار بن هانى بن نماره بن لخم .. ودخلوا فى قبيلة جزام مع إخوتهم بمصر .. وبنو مر بطن من لخم أيضاً وهم يسكنون صعيد مصر.

- ٥ -

ومنهم أحد زعمائها .. أبو كبيرة .. وكان واسع الثراء واستقر مع أسرته بالقرب من البلينا بمدينة جرجا ومعه أولاده الثلاثة .. وأكبرهم عبد القادر الجد الأكبر للشيخ محمد .. والذي بحث عن زوجة تتناسب مع عائلته حتى وجدها فى قرية أولاد عزاز بسوهاج .. وبعد وفاة الجد الأكبر أبو كبيرة .. حصل على نصيبه من الميراث .. وانتقل إلى بلدة زوجته .. وكان ذلك فى عصر محمد على الكبير .. وهناك اشترى عددا كبيرا من الأفدنة الزراعية بلغ ١٦٠ فدانا .. بالقرب من بلدة زوجته .. وكان له فى ذلك الوقت من الزوجات ثلاث زوجات .. وعشرة أولاد .. ومن البنات اثنتين.

الفصل الثالث

قرية المزالوة

- ١ -

كبرت عائلة عبد القادر .. وكثر العمال لديه .. وأصبحت من كبريات العائلات فى القرية .. وإن كانت هى أكبرها بالفعل .. عددا .. وثروة ونظراً لقوة العائلة فى العدد وامتلاكه لأراضى القرية أطلق عليهم الناس إسم النزالوة .. أى الجماعة التى نزلت فى هذا المكان واستوطنته وعاشت فيه .. وحرف الإسم بعد ذلك من النزالوة إلى المزالوة .. وأطلق على أهل المزالوة .. المزلاوى - أى القادم من المزالوة.

وللقدر الكبير الذى وصل إليه الشيخ عبد القادر فى القرية التى كانت تعيش فيها العائلة فقط - وأصبح تعدادها حالياً ٦٣٣٢ فرداً - حتى أن صيته وصل إلى كل أنحاء البلينا وجرجا .. فقد تم تعيينه شيخاً لها حتى وفاته وتم تعيين ابنه الأكبر محمد خلفاً له .. واستحدث الخديوى إسماعيل منصب العمدة .. ولصيت العائلة الكبير وتمتعها بالاحترام بين أبناء القرية تم تعيين فرغل المزلاوى شقيق محمد شيخ البلد .. عمدة لها .. وهو أول عمدة لهذه القرية .. وكان الحاكم والقاضى والشرطى فيها .. وفى عهده كانت العدالة هى الفيصل فى سياسة العمدة وأخيه .. ثم حصل على لقب الباكوية بعد ذلك.

- ٢ -

وللشهرة التى وصل إليها الشيخ فرغل .. أو فرغل بك المزلاوى كان الجميع يطمع فى صداقته لمنزلته وأخلاقه .. وحسن تعاملاته مع الناس .. والتقى بعبد الله باشا وهبى والد الفنان يوسف وهبى .. الذى كان يشغل منصب مدير الرى بسوهاج .. ونشأت بينهما صداقة قوية أدت إلى اشتراكهما فى شراء حديقة فواكه - مازالت موجودة حتى الآن.

ولاحظت الحكومة وجود قرى فى بندر سوهاج بدون عمدة .. فألحقتها بعمودية المزالوة .. وذلك بعد نقل عاصمة مدينة جرجا إلى مدينة سوهاج .. وظل هذا الوضع حتى وفاة فرغل بك عام ١٩١٧. وتوالى على العمودية بعد ذلك إخوته منصور .. وبعده على .. ثم أولاد فرغل بك وهم محمد ثم أحمد .. وأخيراً عبد الغنى وهو العمدة الحالى.

-٣-

أما الشيخ محمد خليل فقد رزق بنتين وخمسة أولاد ومنهم الشيخ محمد محمد خليل المزلاوى .. والذى ولد فى عام يمكن أن نسميه عام العمالة .. وهو العام الذى ولد فيه عباقرة فى شتى المجالات ..

فى عام ١٨٩٨ ولد الشيخ محمد المزلاوى عبقرى الاقتصاد .. والشيخ محمد أبوزهرة أكبر علماء الشريعة الإسلامية فى عصره .. والعالم الفيزيائى المصرى الكبير د. على مصطفى مشرفة .. وشهد أيضاً مولد عصفور الشرق الكاتب والأديب الكبير توفيق الحكيم .. وشاعر الأطلال د. إبراهيم ناجى .. والشاعر المحامى عزيز أباظة .. والقارئ الشيخ صديق المنشاوى - وهو من مواليد محافظة سوهاج - وسيدة الغناء العربى أم كلثوم .. وعميد المسرح العربى يوسف وهبى - وهو أيضاً من مواليد محافظة سوهاج.

-٤-

ويشاء القدر أن يولد فى نفس العام .. كما ذكرنا ووسط هؤلاء العمالة .. عملاق اقتصادى كبير لم يكن من عشاق الأضواء .. فقد كان عشقه الأول والأخير عمله .. وعمله فقط .. ويتصادف أن يكون عام مولده هو نفس العام الذى تم فيه إنشاء البنك الأهلى المصرى .. هذا العملاق .. وهو بحق من عمالة الاقتصاد المصرى محمد محمد خليل المزلاوى أو الشيخ محمد محمد خليل المزلاوى .. كما كان يحب أن يطلق عليه حيث كانت كلمة شيخ تطلق على كبار رجال العائلات الكبرى بالصعيد .

الفصل الرابع بؤادر العبقرية

- ١ -

تولى والد الشيخ محمد خليل الزلاوى مشيخة البلد عام ١٩٠٠ .. وظل فيها حتى وفاته عام ١٩١٣ .. وتعلم منه ابنه محمد الكثير فى كيفية إدارة حياته بالطريقة التى تتناسب وإمكانياته .. ورغم صغر سنه إلا أن أمانيه كانت أكبر من هذا العمر الصغير .. فسبق أقرانه بمراحل كبيرة فى فكره المتطور دائماً .. ولم يحب الزراعة رغم امتلاكه للأراضى الزراعية التى كانت تؤمن مستقبله ومستقبل أسرته .. وجلس يفكر فى مهنة أخرى يجد فيها نفسه .. ويحقق من خلالها طموحاته وأمانيه .. وهواه عقله الصغير إلى فتح محل تجارى .. فاستقطع أحد شبابيك الديوان الخاص بجده .. واشترى بعض الحلوى .. ووضعها بشكل منمق وجذاب .. فجذب إليه أطفال القرية .. وبفكره المتجدد وجد أن تجارة القطن تجارة رابحة .. ولأنه لا يريد الاعتماد على أحد .. فقد طلب من الأطفال أن يشتروا الحلوى بقطع من القطن .. ونجحت الفكرة .. واستطاع أن يحقق أولى خطواته فى طريق امبراطوريته.

- ٢ -

رغم نجاحه المحدود .. ولكنها كانت بداية الألف ميل .. نعم .. فالألف ميل تبدأ بخطوة .. وهاهو قد خطاها .. ولم يشأ أبداً أن يرجع أو يتراجع .. أو يستسلم لضغوط إخوته .. الذين طالبوه بنسيان التجارة .. وآلامها .. فهى غير مضمونة العواقب .. يوم فى السماء .. وآخر فى الأرض .. أما الزراعة فمضمونة المكاسب .. ولن يفعل أو يبذل أى مجهود سوى الإشراف على المزارعين .. واعتبروا أن بيعه للحلوى شئ لا يتناسب لا معه ولا مع عائلته .. إلا أنه أبى .. وأصر على استكمال مشواره مع التجارة .. ومعركة حياته التى استحدثها وخاض فيها مع دنيا الأعمال الحرة .. وأثناء ذلك قام باختراع تليفون يربط بينه وبين البيت عبارة عن قمعين صاج مرتبطين بسلك يتكلم فيه مع إخوته فى البيت من محله التجارى ليختصر الوقت فى طلباته .. وتجهيز ما يريد .. فضحك إخوته وتركوه مع اختياره على أن يتحمل مسئولية هذا الاختيار الصعب .

-٣-

ولأن التطوير .. هو أحد سبل النجاح فى الحياة .. ولأن عقله الصغير لا يتوقف عن التفكير ..

فقد فكر فى ترك قريته والرحيل إلى القاهرة .. حيث الحياة أرحب وأوسع .. والمجالات التجارية مفتوحة ..

ثم أن عمه الشيخ أحمد خليل موجود فيها .. ويعمل فى المجال الذى يحبه ويريد أن يكمل حياته فى رحابه .. وهو مجال التجارة .. وتذكر قصة حياة عمه مع التجارة .. ونجاحه فى مجال الآبار الارتوازية والتى يعمل فيها منذ عام ١٨٨٠ .. والنجاح الكبير الذى حققه والذى وصل إلى محافظات مصر المختلفة .. فعقد العزم واتخذ قراره بالسفر إلى القاهرة .. بعد أن أقنع اخوته .. وترك أرضه وبلده .. والأمال والأحلام والطموحات تداعب عقله الصغير المتفتح وهو فى طريقه إلى عمه بالقاهرة عام ١٩١٣ .. وفرح العم بابن أخيه فرحاً شديداً ..

وكانت فرحته أشد بعد أن جلس معه .. ووجد فيه العقل الراجح وقوة العزيمة .. والمثابرة فرحب به وبعمله معه .. وبدأ فى تعليمه أصول الصنعة .. وفى الوقت نفسه كان شقيقه الأكبر أحمد من طلبة الأزهر الشريف ويدرس بمعاهده فى القاهرة .. إلا أن محمد فضل أن يترك أحمد الدراسة ويعمل معه فجلس مع أخيه يحدثه عن العمل التجارى .. ومميزاته .. والمكاسب التى ستتحقق منه .. حتى اقتنع .. ووافق وترك دراسته بالأزهر .. وعمل بالمشاريع التجارية .

-٤-

لم يكن عمه الشيخ أحمد خليل برجل الأعمال العادى .. ولكنه كان دائم التطور .. وهذا ما تعلمه الشيخ محمد من عمه .. الذى كان يسهر الليالى يجمع قطع الحديد .. والمسامير .. ويربط القطعة بالأخرى .. ومحمد يراقبه .. ويسأله .. ويستفسر .. فيبتسم له عمه ويقول له .. إذا لم يطور الإنسان نفسه وعمله فسيبقى فى مكانه محلك سر .. وسيسبقه الآخرون .. وهذا هو سر النجاح .. وما أفعله الآن هو اختراع جديد لطلبية زراعية .. فسأله محمد .. وكيف ستعمل ؟ فأجابه .. ستدار بالحيوانات .. وحينما تدور سيتحرك هذا المحرك بهذه البساتم الأربعة .

تم الاختراع الذي سجل باسم الشيخ أحمد خليل .. كأول طلمبة زراعية مصرية يتم اختراعها بيد مصرية .. وسجل اسمه عليها .. وباع منها الكثير في جميع أنحاء مصر وخارج مصر في السعودية .. وكان وجه الشيخ محمد عليه سعيداً - وش السعد - وكسب مكاسب ضخمة من هذا الاختراع .. والذي كان أحد الدروس المستفادة للشيخ محمد ولم ينساها أبداً. واتخذوا مقراً لهم في ٤٠ شارع السبتية .. مكاناً للعمل وسكناً لهم .. ولترويج وبيع اختراعه .. وازداد العمل وتوسع .. وقام الشيخ أحمد وأبناء أخيه محمد وأحمد بعمل أربعة ورش للخرابة في ٢٢ شارع الحلبي ببولاق أبو العلا .. وواحدة في سوق العصر .. والثالثة في سوق الحطب .. والأخير في ٣ ميدان باب الحديد بشارع إبراهيم باشا .. هذا إلى جانب عملهم في مقاولات الآبار الارتوازية .. فهم قاموا بشراء مخزن كبير لتخزين عدد وأدوات الآبار الارتوازية بشارع محمد بكر خلف مكتبهم بالسبتية.

الفصل الخامس الحرب العظمى

- ١ -

في عام ١٩١٤ بدأت الحرب العالمية الأولى .. أو الحرب العظمى .. وانتهت عام ١٩١٨ .. وفيها تم استعمال الأسلحة الكيميائية لأول مرة .. وتم قصف المدنيين من السماء لأول مرة في التاريخ .. وأبديت فيها العديد من العرقيات .. وشهدت الحرب ضحايا بشرية لم يشهدها التاريخ من قبل .. وسقطت السلالات الحاكمة والمهيمنة على أوروبا .. والتي يعود منشأها إلى الحملات الصليبية .. وتغيرت الخارطة السياسية لأوروبا .. وشكلت الحرب البداية لعالم جديد .. ونهاية الارستقراطيات والملوكيات الأوروبية ..

وأُسفرت نتائج الحرب العالمية الأولى عن خسائر مادية وبشرية جسيمة .. وعن تراجع الدور الأوروبي في توجيه سياسة العالم

أما أهم الخسائر المادية فقد وقعت في الأراضي التي دارت فيها المعارك حيث أُلغيت المحاصيل الزراعية .. وقضى على المواشي .. ودمرت ملايين المنازل والمصانع .. إضافة إلى الأضرار التي لحقت بالسكك الحديدية .. ومناجم الفحم

- ٢ -

كان الوطن العربي حتى عشية الحرب العالمية الأولى يحاول جاهداً مشاركة العثمانيين في تسيير شئون السلطنة .. وإيجاد توافق لحفظ وحدتها .. ألا أن العثمانيين تمسكوا بسياسة الاستبداد وسوء الإدارة .. وأدى عدم تجاوبهم مع العرب إلى تدهور العلاقات العربية العثمانية .. وفتح الباب أمام دول الوفاق الثلاثي .. فرنسا وبريطانيا وإيطاليا .. للتقرب من العرب والحصول على مساندتهم .. وذلك بعدما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا.

- ٣ -

وبطبيعة الحال تأثرت الحركة الاقتصادية في مصر تأثراً كبيراً نتيجة التمرکز الاستعماري .. فتحوّلت المنطقة إلى سوق لتصريف البضائع الأجنبية .. ومصدراً للمواد الأولية .. فتضرر الحرفيون والمزارعون الصغار والمتوسطون .. كما توقفت حركة الملاحة البحرية ..

والتي كانت تستخدم فى نقل البضائع من و إلى الغرب فارتفعت أسعار المواد الخام . . وتآزمت الصناعات الحرفية . .

ولم يكن الشيخ محمد والأخ أحمد المزلاوى وعمهما ببعيدين عن كل هذا وتأثر عملهم تأثراً كبيراً فى هذه الحرب . . والتي أفقدتهم كل مايملكون من أموال . . وبعد هذه الخسارة الكبيرة شعر العم الشيخ أحمد خليل بأن سنة قد كبر وجسده أصبح لا يتحمل العمل . . وعليه أن يريح هذا الجسد فى آخر أيامه . . واجتمع بمحمد وأحمد وقال لهما . . لقد أصبحت كما ترون كبيراً فى السن وجسدى لا يتحمل العمل وقررت أن أعود للقرية . . لأريح جسدى ماتبقى لى من أيام . . وسأترك لكما العمل تديرانه كيفما شئتما . . ولكن بشرط أن تحافظا على المكاسب التى تحققت . . وأدعو الله أن يعينكما على هذه الكارثة . . وأعلم جيداً أنكما ستعبرانها خاصة أنت يا محمد لما أعلمه فيك من عقل راجح وفكر ثاقب متحرر ومبتكر . . فأنت خليفتى فى هذا المجال .

- ٤ -

تركهما العم . . وسافر عائداً إلى قرية بسوهاج . .

وجلس أحمد مع أخيه يسأله عن الحل . . وكيفية الخروج من هذا المأزق بعد أن أصبح لا يملكان شيئاً . .

فقال له الشيخ محمد . .

إن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا

وجلس الشيخ محمد يفكر ويقلب الأمور على جميع أوجهها للخروج من هذا المأزق . . حتى وصل إلى مسامعة أن الإنجليز سيقومون بعمل مزادات على شبكات المواسير التى أنشئت تحت الأرض لتوصيل المياه من القاهرة إلى معسكرات جنودهم على الحدود المصرية . . والتي أصبحت لا تمثل لهم أى أهمية . . وهنا لمعت فى عينيه فكرة . . وسأل نفسه ولماذا لا ندخل هذا المجال ونشتري المواسير ونبيعها ؟

وخرج السؤال من عقله إلى أخيه أحمد . . وقبل أن يفிக أحمد من السؤال الذى وجهه الشيخ محمد . . كان الرد قاطعاً من الشيخ محمد . . سندخل المزايا . . ونشتري المواسير . . وسأله أحمد . . ولكن كيف ؟ والأمور المادية سيئة جداً . .

فأكد الشيخ محمد إجابته السابقة بلهجة التحدى لهذا الموقف الصعب ..
سند خل المزاد .. ونشتريها .. ونجتهد فى بيع ما عندنا من عدد الآبار الارتوازية .. والطلبات
.. وندخل المزاد ..

فقال له أحمد بلهجة استفهامية نبيعها كلها .. واستطرد .. مع ملاحظة أن الوقت
يداهمنا ..

فأجابة بلسان واثق ..
سند خل ونشتري .. ولنتوكل على الله .

- ٥ -

وبالفعل استطاع الشيخ محمد بإرادته الحديدية أن يجمع المال .. ويدخل أحد المزادات
ويشتري شبكة مواسير .. وباعها فى السوق .. فتسببت فى انتعاشة اقتصادية كبيرة لهما
.. أخرجتهما من حالة الكساد والركود التى طالتهما نتيجة الحرب .. وحققا ثروة لا بأس بها من
حفر الآبار والإتجار فى المواسير ..

ولم يتوقف الشيخ محمد عند هذا الحد .. وبرؤيته الثاقبة للمستقبل البعيد .. لاحظ أن
اللغة الفرنسية هى السائدة بين تجار المواسير .. حيث كان أغلبهم من أصول فرنسية .. فعزم على
تعلم هذه اللغة .. وبالفعل تعلم الفرنسية بمساعدة مدرس خصوصى كان يأتية فى مكتبة
بالسبتية .. وأجادها إجادة تامة .

الفصل السادس انتعاشة .. وأزمة ضخمة

- ١ -

انتعشت تجارة الشيخ محمد بمشاركة أخيه أحمد انتعاشة كبيرة بدأت من عام ١٩٢٠ .. وفي عام ١٩٢٥ .. اتفق الأخوان محمد وأحمد على إنشاء شركة تضامن للتجارة والصناعة ومقاولات الأبار الارتوازية تحت إسم أحمد محمد خليل وأخيه محمد وحققت الشركة نجاحا كبيرا .. ولم يوقف هذا النجاح طموح الشيخ محمد الذي كان ينظر لأبعد من ذلك بكثير .. وفي نفس الوقت تزوج الشيخ أحمد .. ولم يكن لديه طموح محمد وأحلامه .. فاكتمى بما تحقق من نجاحات مع أخيه .. وبدأ يعيش حياة القاهرة بلياليها .. حيث جذبته أضواء القاهرة .. وحصل على البكاوية ..

وفي عام ١٩٢٩ .. وصلت الأزمة المالية العالمية الكبرى إلى القاهرة .. وكأنها تركب قطار الشرق السريع .. والتي كان تأثيرها مؤلما على الجميع ..

وخسر الشيخ محمد كل أمواله .. ولم يتبق له سوى ملابسه .. وجلس في شرفة شقته بالقاهرة في ليلة غاب فيها القمر .. ينظر إلى السماء الحالكة .. وظل على هذا الوضع طوال الليل .. يفكر ويسأل نفسه .. ماذا سنأكل غدا ؟ .. وحينما أشرقت شمس اليوم الجديد .. ارتدى ملابسه .. وانطلق هائما في الشوارع .. لا يعرف إلى أين تأخذه قدماه .. ولم يشعر بنفسه إلا وهو في حي الجمالية .. وصوت يناديه .. يا شيخ محمد .. يا شيخ محمد .. فانتبه إلى الصوت .. وبحث عن مصدره .. ووجده أحد التجار المتعاملين معه .. فاتجة إليه ..

وسأله التاجر ..

ماذا بك يا شيخ محمد ؟ ..

فقال له والكلمات تخرج من فمه كالججارة الثقيلة التي يريد الإنسان نقلها من مكانها ولا يستطيع لثقل وزنها .. المشكلة المادية التي حدثت أفقدتني كل شيء ..

فابتسم الرجل وسأله ..

ألا توجد عندك عدد من النحاس ..

فأجابه ..

نعم ..

فقال له التاجر ..

النحاس فى هذه العدد كالأذهب الآن .. فك هذه القطع النحاسية .. وبعها .

- ٢ -

فى عام ١٩٣٣ بدأت الأزمة فى الانفراج .. وعاد السوق لنشاطه مرة أخرى .. إلا أن الأمور مع الشيخ محمد كانت تسير فى طريق آخر .. لأن الأزمة تسببت فى عدم وجود رأس مال - سائل - يستطيع من خلاله شراء المواسير .. ولعدم وجود السيولة لشراء الكميات المطلوبة منه .. توقف أمام هذه المشكلة .. والتى على إثرها ستتوقف حركة البيع والشراء ..

وهذه تفكيره إلى إرسال تلغراف للشركة المصنعة للمواسير فى لندن يطلب منها إرسال كميات كبيرة من المواسير على أن يدفع ثمنها فيما بعد وسخر منه العاملون الإنجليز بمكتب الشركة بالقاهرة .. والسبب ندرة المواسير مع السيولة المادية .. فماذا يفعل من لا يملك المال .. وكانت المفاجأة فى رد الشركة .. والتى استجابت لجميع مطالبه .. وفوجئ التجار بالمواسير تدخل شركة الشيخ محمد فسألوه عن سر موافقة الشركة ..

فنظر إليهم مبتسماً وهو يقول

.. الأمانة ..

وبالفعل كانت كلمة السر لحل هذه المشكلة فى كلمة واحدة هي الأمانة لأنه كان ينتظم فى سداد أقساطه للشركة .. ونظراً لأمانته .. وافقوا .. وطلب مدير الشركة فى مصر .. وهو مصري من الشيخ محمد أن يحتفظ بالتلغراف ليفتخر به أمام رؤسائه الإنجليز .. وكأنه يقول لهم :

هذا هو المصري .. وهذه هي مصر .. الأمانة ليست كلمة .. ولكنها فعل .. شهد بها الإنجليز أنفسهم ..

وكان رد الشيخ محمد علي المدير المصري بقوله ..

حقاً إن الصدق والأمانة يصلان بصاحبهما إلى الملايين .. بينما خلاف ذلك يصل بالإنسان

إلى طريق مسدود.

- ٣ -

وفى عام ١٩٣٥ جلس الشيخ أحمد مع أخيه قائلاً له ..
لقد اكتفيت بما حققت من مكاسب .. ووضعى الآن وبعد أن حصلت علي الباكويه لا يسمح لى
بالعمل كما كنت فى السابق وأتمنى أن نفرض هذه الشركة.
وحاول الشيخ محمد مع أخيه محاولات عديدة لإثباته عن فض الشركة .. إلا أن إصرار
الشيخ أحمد كان أقوى من كل هذه المحاولات مما دفعه للموافقة علي طلب أخيه وتم فض
الشركة على أن تكون عملية حفر الآبار فى القاهرة من نصيب الشيخ أحمد .. وباقي المشروعات
للشيخ محمد ..

واتجه الأخ الأكبر أحمد إلي الحياة الارستقراطية من فيلا وخدم وحشم وحفلات .. وتعليم
أولاده كيف يعيشون هذه الحياة من تعليم للموسيقى وغيره ..
ولم يتوقف الشيخ محمد وبدأ فى عام ١٩٣٥ يفكر فى الصعيد .. وفى عودته لسوهاج وتحقيق
حلم حياته بتأسيس إمبراطورية صناعية كبيرة .. واستغل ظهور الماكينات الديزل فى القاهرة ..
فاشترى ماكينة ديزل كبيرة .. ونقلها إلي سوهاج وثبتها هناك لري الأراضي الزراعية بالأجر ..
ونجح المشروع وشجعه هذا النجاح لشراء ماكينة ثانية وثالثة .. وفى عام ١٩٣٦ أنشأ مطحن
سوهاج بالقرب من المزالوة سمى بمطحن المزالوة .. وسأله زملاء المهنة ..

لماذا عدت مرة أخرى إلي الصعيد ؟

فقال لهم ..

فى عام ١٩٢٩ خسرت كل أموالى وكانت لي شيكات وكمبيالات عند الكثير من التجار .. ولم
أستطع تحصيلها فجمعت كل هذه الشيكات والكمبيالات وقمت بحرقها .. وقلت فى نفسى بدلاً من
أضيع وقت دون جدوى فى تحصيل الشيكات .. على أن أعمل فى السوق الرائجة لتعويض
خسائرى .. وكان حلمى وتفكيرى أن أعود لبلدى وأفتح لى سوقاً هناك .. والحمد لله أننى بدأت فى
تحقيق هذا الحلم .. وأصبح إنتاج المطحن كبيراً وكفى سوهاج والمديريات التابعة له .. مديريات

قنا .. وأسوان .. والنوبة .. وحدود السودان .. ثم أنني لم أترك الصعيد أبداً ولم أترك بلدي
سوهاج .. وسأذهب هناك لمشاريعي التي وضعت بذرتها عام ١٩٢٧ وما لا تعلموه أن البداية الحقيقية
لمطحن المزالة .. وماكينات الزراعة كان عام ١٩٢٧

فقالوا له ..

يا لك من عقليه .. إنك تملك عقلاً اقتصادياً نادراً

فقال لهم ..

من أهم صفات رجل الأعمال الناجح .. قوة الملاحظة والنظر للأمام .. وأن يضع كل شيء في
موضعه بنظام.

الفصل السابع الحرب العالمية الثانية

- ١ -

بدأت الحرب العالمية الثانية في ٧ يوليو ١٩٣٧ في آسيا واتسعت لتشمل أوروبا في سبتمبر ١٩٣٩ .. وهي تعد من الحروب الشمولية .. وأكثرها كلفة في تاريخ البشرية .. لاتساع بقعة الحرب وتعدد مسارح المعارك والجبهات .. وشارك فيها ١٠٠ مليون جندي .. وأزهقت زهاء ٧٠ مليون نفس بشرية بين عسكري ومدني .. وانتهت عام ١٩٤٥ .. وفي نهايتها انهار الاقتصاد الأوروبي بعد أن دمرت الحرب ٧٠ % من البنية الاقتصادية التحتية بها ..

وكان لهذا التدهور الاقتصادي أثره الكبير على مصر .. وضربت الانتكاسة العالمية بجذورها في كل مناحي الحياة ..

وكما طالت المعدومين الذين أنشأت لهم الحكومة المطاعم ليسدوا جوعهم فيها .. طالت أيضاً التجار والصناع والبنوك والفلاحين الذين هجروا الأراضي والزراعة إلى المدينة التي اكتوت أيضاً بنيران الأزمة .. وشهدت تقلبات اعتصرت الحياة الاقتصادية والاجتماعية ..

ورغم كل هذه المشاكل التي واجهت المصريين وخاصة رجال الأعمال .. إلا أن فكر هذا الرجل الثاقب والسابق لوقته دائماً .. كان يساعده في الخروج من المأزق تلو الآخر ..

كما أن بعد نظره في العودة لبلده مرة أخرى .. والعمل في رى الأراضي .. وبناء المطحن كان لهما أكبر الأثر في عبوره لهذه الأزمة واستقر الشيخ محمد في مكتبة بشارع المحطة بسوهاج .. ومارس التجارة في القمح.

وازداد إنتاج المطحن الذي يعمل ليل نهار .. وجني منه الأرباح الكبيرة ..

ثم بدأ يخطط لإنشاء أكبر مطحن في القطر المصري كله بقوة ١٨ حجر (طاحونة) .. وافتتحه عام ١٩٤٧ ..

ولأن النجاح يؤدي إلى نجاح .. فقد كان لأوامر الحكومة بخلط الدقيق بالردة .. أكبر الأثر في زيادة أرباح المطحن أضعاف ما كان يكسبه .. ودعاه هذا النجاح إلى التفكير في إنشاء مصنع آخر كبير .. وهو معصرة لبذر القطن (زيت الطعام).

- ٢ -

عقبان وقفنا أمام الشيخ محمد تحولان بينه وبين تنفيذ حلمه فى بناء المصنع ..
الأولى من وزارة الصناعة والتي رأت أن إنتاج المعصرة سيفوق الاستهلاك المحلى
ورفضت منحه الترخيص

والعقبة الثانية فى ثمن المعصرة الكبير .. بعد أن تفاوض لشراء أكبر معصرة فى مصر
من شركة روزداوس الإنجليزية وكانت قوة المعصرة ٢٠ مكبساً .. ورفضت الشركة الإنجليزية
تقديم أية تسهيلات ائتمانية له ..

ورغم يسر ظروفه المادية إلا أن أمواله لم تكن تكفى لضخامة المشروع .. ولأنه شخص مقاتل
بطبعه .. ولا يستسلم بسهولة .. فقد بدأ دفاعه عن مشروع حياته على الجبهتين .. جبهة وزارة
الصناعة .. والجبهة الثانية الشركة الأجنبية التى رفضت بيع المعصرة بالتقسيط .. وأصرت
على دفع الثمن كاملاً وظل فى محاولاته المستميتة والمتكررة بإرسال طلبات الشراء للشركة ..
وبطريقة أخرى متابعة أخبار رئيس الشركة .. حتى وصلت إليه الأخبار التى تؤكد أنه سيزور
مصر .. وسيذهب إلى الأقصر .. فتوجه إليها .. وقابله هناك .. ودعاه لزيارة المصنع .. وأمام
إلحاحه وافق رئيس الشركة الإنجليزي على زيارته وأقام فى فيلا الشيخ محمد التى أقامها
داخل المصنع .. واقتنع الرجل بالمشروع ووافق على توريد آلات المعصرة إليه .. وقال ..

لمست فى هذا الرجل تصميماً وعزيمة هما الضمان الحقيقي لهذه الصفقة ..
ولما شاهدت وزارة الصناعة نجاح الشيخ محمد فى إقناع رئيس المصنع الإنجليزي وافقت على
المشروع .. ومنحته الترخيص ..

وتصادف أن تكون أول سيارة تعبر كوبرى سوهاج بعد إنشاء السيارة التى تحمل آلات المعصرة
.. وكان فى هذا الوقت الرئيس المنتخب للغرفة التجارية بسوهاج والتى انتخب رئيساً لها فى عام
١٩٤٨ وظل فى هذا المنصب حتى عام ١٩٥٤ .. وفى نفس الوقت أيضاً عضو مجلس إدارة الغرفة
التجارية منذ عام ١٩٤٢ وحتى التأميم.

- ٣ -

أنشئت أكبر معصرة في جنوب الصعيد عام ١٩٥١ تحت اسم مصانع سوهاج الكبرى ..

وجرت عجلة الإنتاج .. وسأله أحد مساعديه ..

وماذا ستكون ماركة الزيوت ؟

فأجاب وبدون تردد ..

الهدهد ..

فاستغرب مساعده .. وقال له متسانلا ..

لماذا الهدهد ؟

أجابه ..

حينما اشتدت الأزمة ورفضت وزارة الصناعة الموافقة على الترخيص .. وكذلك رفضت الشركة

الإنجليزية منحى التسهيلات لشراء الآلات .. لاحظت أن طائر الهدهد لا يفارق أرض المصنع ..

فكنت أنظر إليه .. وينظر إلى وكأنه يواسيني لما يحدث معي .. ويقول لى .. الفرج قريب .. فقلت في

نفسى حينما يتم حل هذه المشاكل سأطلق على منتجات الزيوت اسم الهدهد .

وبالفعل عرفت منتجات زيوت المصنع بزيت الهدهد .. وغطى إنتاجه مديريات سوهاج وقنا

وأسوان .. وافتتح الشيخ محمد فروعا له في جميع المراكز والمديريات الواقعة جنوب سوهاج ..

وغطى إنتاج هذه المصانع حوالي ٢٠ ٪ من احتياجات مصر الغذائية .. وكانت النتيجة تدفق الأموال

إلى خزانة الشيخ محمد .. فقام بشراء الأراضي الملاصقة للمصنع .. وأنشأ مصنعا للصابون بجميع

أنواعه مثل صابون الغسيل ماركة أسوان .. وصابون التواليت ماركة الخليلي .. وصابون للمواعين ..

وأنواع أخرى .. ولأنه رجل عملى .. فقد استطاع تحويل نفايات الصابون - الصوب ستوك - إلى

صابون خاص للتنظيف بدلا من التخلص منه.

- ٤ -

لم يكن الشيخ محمد المزلاوي من الشخصيات التى لا تدقق فى أى شئ والا ما نجح .. فقد كان

قوى الملاحظة .. ويتابع كل صغيرة وكبيرة تحدث داخل مصانعه .. وبمتابعته للقمح وبذرة القطن

وهما من المحاصيل التى يتم توريدها للمصنع عن طريق بنك التسليف الزراعى ..

لاحظ أن هناك شئ غير طبيعي في أوزان القمح وبذرة القطن .. أسرها في نفسه .. ثم طلب من أحد المسؤولين بالمصنع أن يأتي له بالدفتر الذي يدون فيه أوزان السلع .. ووجد أن هناك تناقصا واضحا في الأوزان .. فعلم أن هناك سرقة تحدث .. وأن هناك من يخدعه .. وفطن إلى أن السرقة تحدث من بنك التسليف الزراعي ..

فأمر سائقى سيارات المصنع بالتوجه لمقر بنك التسليف بشارع البحر .. ووقفت السيارات أمام البنك وسدت كل منافذ طريق الكورنيش المحيطة به .. فتوقفت حركة المرور .. وحدث هرج ومرج .. ووصل الخبر سريعا إلى مدير الأمن .. الذى حضر سريعا للموقع .. ووجد الشيخ محمد المزلاوى يقف أمام بنك التسليف الزراعي .. فأتجه إليه وسأله ماذا يحدث ؟

فقال له الشيخ محمد بصوت أجش واثق وهو يشير إلى البنك .. هذا المبنى يمتلئ باللصوص .. وأغلقت الطريق خوفا على المارة منهم . وعلى الفور استدعى مدير الأمن رئيس مجلس إدارة البنك وتم الاتفاق معه على أن يكون الميزان الجديد .. ميزان بسكال الذى تم تركيبه في المصنع - وهو الأول بالصعيد - الفيصل في وزن السيارات بحمولتها ومعها السائق والتابع .. ووزنها وهى فارغة .. وبذلك يحصر المواد الخام الداخلة للمصنع ..

كما أجبر بنك التسليف على إرسال مندوب له في المصنع لاعتماد الأوزان الداخلة للمصنع .. واستطاع من خلال هذا الموقف الذي يدل على ذكاء الرجل وحرصه على أمواله التى بذل فيها العرق والجهد والفكر وسهر الليالى .. وقف الفساد والسرقات .. ووفر آلاف الجنيهات التى كانت تسرقها عصابة الشون بالبنك

- ٥ -

كان المصنع بالنسبة للشيخ محمد المزلاوى قلبه النابض الذى لا يستطيع أن يفارقه أبدا .. ولعشه للمصنع قام ببناء فيلا داخله عاش فيها وزوجته وأولاده .. حتى لا يغيب عن ناظريه ليل نهار .. ووصل به الأمر إلى تسمية آلات المصنع بأسماء أولاده .. وفى أحد الليالى .. استيقظ على صوت طرقات شديدة على باب الفيلا .. فخرج من مخدعه ليرى ماذا حدث ..

وقلبه يدق بعنف .. وعلم من أحد العمال أن أحد الماكينات تعطلت فهرول برداء نومه مسرعا فى اتجاه الآلة أمرا بإيقاظ سائقه للذهاب وإحضار الميكانيكى بعربته الخاصة ..

وجلس بجانب الآلة يربت عليها بحنان الأب الملهوف على ولده المريض .. وكأنه يستسمحها أن لا تغضب منه بسبب هذا العطل .. وظل على هذا الوضع يواسى الآلة إلى أن حضر الميكانيكى .. وما أن تم إصلاحها .. وسمع صوت محركاتها .. حتى انفرجت أساريره وارتاحت نفسه واطمأنت .. ووضع يده على الآلة وكأنه يقول لها ..

لا تخافى مادمت حياً ..

وظل نظره متعلقاً بها .. وهو يخرج فى طريقه إلى الفيلا .. ينظر إليها فى عطف وحنان حتي غابت عن عينيه.

الفصل الثامن العدوان الثلاثي

- ١ -

في ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ بدأ العدوان الثلاثي على مصر بعد أن تأمرت فرنسا وانجلترا .. ومعهما إسرائيل على مصر .. فتوقفت مصانع عديدة عن العمل .. لنقص المواد الخام التي يتم استيرادها من أوروبا .. وتوقفت مصانع الصابون التي أنشأها الشيخ محمد داخل مصانعه نتيجة نقص المواد المستوردة مثل الصودا الكاوية ..

ولم يقف الرجل مكتوف الأيدي .. وكعاداته كرجل محارب يؤمن بأن لكل مشكلة حل .. بدأ يفكر في كيفية حل هذه المعضلة لكي لا يتوقف المصنع عن الإنتاج .. فاستجمع كل خبراته .. ولملت في رأسه فكرة استحدث بها شئ لم يكن موجودا في مصر من قبل .. ولا يوجد إلا في المصانع العالمية الكبرى .. وهو إنشاء معمل كيميائي .. تحول إلى مصنع داخل المصنع الكبير في أعلى مصنع الصابون .. ولأنه يؤمن بالتخصص فقد قام بالبحث عن أحد خريجي كلية العلوم قسم كيمياء ومن البارعين والموهوبين في هذا التخصص .. ووجده .. وقام بتعيينه على الفور .. وقال له ..

كل الإمكانيات التي تريدها .. ستجدها المهم أن نخرج من هذه المشكلة .. وتدور آلات المصنع من أجل مصر .. فإذا كان هناك من يدافع عن حدود مصر .. فتحن ندافع عن اقتصادها .. وتحمس الكيميائي .. وطلب أدوات لإذابة الملح الرشيد في حوض كبير وعن طريق التحليل الكهربائي بالة تقوم بتوليد التيار المستمر .. استخلص الصودا الكاوية وحضرها علي شكل سائل بدلا من البودرة المستوردة ..

ولم يتوقف المصنع في وقت كانت الحرب في أشد مراحلها .. وعمل بكامل قوته.

- ٢ -

أنشأ الشيخ محمد مصنعا لتكرير الزيوت عن طريق التبريد .. ورغم أنه لم يتخرج من كلية عملية .. إلا أن تركيزه في عمله وعشقه له دفعه كما كان يفعل سابقاً للابتكار .. فاستغل طاقة التبريد الزائدة عن الحاجة لإنشاء مصنع ثلج .. والذي كان مطلباً هاماً في الصعيد لعدم وجود ثلاجات هناك في ذلك الوقت .. بالإضافة إلى حرارة الطقس الشديدة بجنوب مصر ..

استحدث بعد ذلك للمصانع ورشة على أعلى مستوى عين فيها العديد من الموهوبين فى شتى مجالات الصيانة ولم يكن التعيين بطريقة عشوائية .. فقد كان يجرى الاختبارات بنفسه .. وهدفه إجراء صيانة المصنع بالكامل دون الحاجة للاستعانة بأفراد أو ورش أو مصانع خارجية لعمل أي صيانات داخل مصنعه ..

ولأن هذا الرجل صاحب عقل يسبق زمنه بمراحل عديدة فقد أقدم على فكرة قامت عليها النهضة الصناعية فى اليابان .. وهى ما اتفق على تسميتها بالصناعات الصغيرة المساعدة .. ورغم أنه لم يسافر إلى اليابان .. ولم يكن لديه علم بأنهم يفعلون ذلك .. ولكنها العبقرية الفطرية التى فطره الله عليها .. وبتفكيره العملى الذى صقلته الأيام الصعبة قال فى نفسه .. بدلا من أن أضع إصبعى تحت أسنان أى جهة خارجية تتحكم فى .. وفى مصنعى وعملى .. يجب أن أنشئ مصانع تمدنى باحتياجاتى فى المصنع الكبير حتى لا يتوقف العمل فيه .. ويستمر فى طريقه ..

وآمن الشيخ محمد المزلاوى بأن العمل والجهد هما الطريق الأعظم للنجاح .. وهما كنز الإنسان الذى يستعين بهما على الشدائد .. وعليه فقد حول هذه الفكرة إلى حقيقة .. وأنشأ مصنعاً للصفائح .. وآخر للجلود التى يحتاجها فى صناعة السيور التى تساعد فى تحريك الآلات - ومسبك لصهر الحديد .. وصهاريج للمياه من بئر ارتوازي .. وشبكة مياه مستقلة .. كما ركب صافرة ذات حجم كبير يمتد صوتها إلى ٢٠ كيلو متر مربع .. تنطلق لتغير الورديات الثلاثة على مدار الأربع وعشرين ساعه حيث تصل كل وردية إلى ٨ ساعات

- ٣ -

وفى نفس العام أنشأ ١٨ فرعاً فى الوجه القبلى لبيع المنتجات .. وهذه الأفرع فى أسوان ودراو وكوم امبو وادفو وإسنا والأقصر وقوص ونقاده وقنا ودشنا ونجع حمادي وبهجرة وأبو طشت وفرشوط والبلينا وبرديس وجرجا وسوهاج .. ولأنه رجل أعمال .. واقتصاد بالفطرة .. فقد كان يعنى تماماً معنى كلمة تسويق والتى يتم من خلالها تصريف الإنتاج ..

وضع خطة تسويقية محكمة يقوم بتنفيذها وكلاء المناطق التي تم فتح أفرع بها وبتسعيرة موحدة .. وهنا تظهر قمة عبقرية هذا الرجل التسويقية في وضعه لأحد المبادئ الهامة لتسويق المنتجات .. بل كانت فلسفة اقتصادية تساعد في إنجاح أي مشروع .. وهي .. أن يبيع السلعة بثمان رخيص مع إنتاج كبير يتم بيعه .. أفضل من البيع بثمان غال .. وإنتاج أقل .. لأن البيع سيكون بطبيعة الحال هو الأقل .. وفي هذا خسارة كبيرة عليه.

الفصل التاسع الفنان

- ١ -

رغم أن الشيخ محمد محمد خليل المزلاوى لم يحصل علي شهادات فقد كان عقله كما يقول أولاد البلد - يوزن بلد - وبلغه المتعلمين - عبقرى - فكيف لرجل تعليمه بسيط .. يقوم بعمل امبراطورية صناعية واقتصادية على أعلى مستوي علمي؟ .. بل الأكثر من ذلك أنه يمكن تدريس نظرياته الاقتصادية والتي وجدت بالفعل بعد ذلك فى كتب الاقتصاديين دون أن يلتقوا به أو يتعاملوا معه .. ودرست للطلبة المتخصصين فى مجال التجارة .. واستنار بها رجال الأعمال المتعلمين .. وأضيف إلي هذا الجانب صفة أخرى لم يلحظها أحد إلا فى حينها .. وهى صفة الفنان .. ذلك الجانب الخفى فى شخصية الرجل .. ولم يظهر إلا حينما فكر فى بناء قصر له .. فظهرت موهبته الفنية والهندسية .. ومالا يعرفه الكثيرون أنه من وضع تصميمات القصر .. والذى اعتبر من التحف المعمارية والإنشائية رائعة التصميم .. وكان لاكتشاف أنقاض مسجد عثمانى باللدنا الأثر الأكبر فى إلهام الشيخ محمد المزلاوى بفكرة بناء قصر رخامى أبيض .. فأعيد استخدام تلك الأحجار والتي تم صقلها بالقاهرة فى بناء الأجزاء الداخلية .. وواجهة القصر .. وأحضر ٦٠ عاملاً من مدينة المنصورة .. والتي كانت تشتهر بحرفييها الإيطاليين المهرة .. وقاموا بتجميع القطع الرخامية الضخمة معاً ..

أما الديكور فصممه الفنان محمد المزلاوى بنفسه .. وبداخله الأقواس العالية ذات الطابع المغربى لقاعة الاستقبال تتلاقى مع الأرابيسك والنقوش الخطية والرسوم الهندسية البديعة .. والخزائن الضخمة المزركشة بنقوش المركتيري صاحبة الطابع الشرقى بمحاذاة الجدران .. واشتراها الشيخ محمد عندما باعت حكومة الرئيس جمال عبدالناصر فى ذلك الوقت أملاك الأمير محمد على توفيق بما فيها قصره الذى أنشأه بالمنيل فى القاهرة ..

وأثناء بناء القصر الذى بدأ عام ١٩٥٧ .. كان يشتري الأثاث من قصور الأمراء .. قبل أن يزين بها الصالة الكبرى للقصر ومنها ثريا ضخمة كانت موجودة فى قصر عابدين .. وخزائن خشبية ذات طابع أستيل حديث من أعمال الفنان البوهيمى فرنسوا لينك .. وكان الملك فؤاد أحد زبائنه عام ١٩٢٠

انتهى الشيخ محمد من بناء قصره عام ١٩٦٠ .. وتميز بالجواند الأندلسى الخالص .. ولأنه قطعة معمارية بديعة فقد طمع فيه الكثيرون .. وسمح الشيخ محمد لمحافظ سوهاج باستخدام قصره لاستقبال الزوار من برلمانى الجمهورية العربية المتحدة - مصر وسوريا - وفى بداية الستينيات من عمره خطرت له فكرة تحويل قصره إلى معرض يدخله العامة .. وأنشأ مرسى علي ضفاف النيل .. وعمل على تعميقه بالقدر الكافى لىسمح برسو البواخر ومراكب الرحلات عنده ..

والقصر مكون من طابقين .. وبني على الطراز الإسلامى الأندلسى .. واستخدم العقود المفصصة والنوافذ ذات الزخارف الشبكية على هيئة معينات .. وصور جص مزخرفة .. وتغطى الأسقف من الخارج وأعلى الوجهاً والفتحات متراسة كما استخدم بعض عناصر العمارة الأوربية كالبلكونات والدربزين تاكزين بالبرامق ويطل القصر على حديقة عامة .. واختير القصر ضمن ٣٠ مبنى فى جمهورية مصر العربية كأجمل قصور فى مصر .. من خلال كتاب صدر فى الولايات المتحدة بعنوان القصور المصرية لمؤلفته شيرلى جونستون .. جمعت فيه القصور الرائعة البنيان .. واختارت قصر المزلاوى بسوهاج ضمن أجمل ٣٠ قصراً فى مصر إلى جانب قصور عابدين والجوهرة والمنيل وغيرهم .. وذكرت فى الكتاب قصة بناء القصر .. وعرضت صورة الداخلية والخارجية ..

- ٢ -

لم ينتقل الشيخ محمد وعائلته للعيش داخل القصر .. وإنما جعله مزاراً له كلما اشتدت به الأزمات أو أراد أن يروح عن نفسه .. وكأنه ماسة فريدة يضعها فى متحف تحيط بها السياج خوفاً عليها من أن تمسها الأيدي بأي سوء .. أو كأمراة رائعة الجمال يحيطها برعايته وحنانه وعطفه وحمايته لئلا يمسها شر.

- ٣ -

وفى نفس العام ١٩٥٧ .. أجريت أول انتخابات تشريعية فى مصر لمجلس الأمة .. وطالبه من حوله بالدخول للانتخابات خاصة وأنه اسم كبير .. وعائلته من أكبر العائلات .. وبالفعل رضى لهذا الطلب .. ورشح نفسه .. وكانت المرة الأولى التى يبتعد فيها عن عمله .. الذى خصص وقته كله له خاصة وأنه يؤمن بأن العمل عبادة .. ولم يكن لديه وقت للاجتماعيات .. وكان لذلك أكبر

الأثر في نتيجة الانتخابات والتي جاءت مخيبة للأمال بعدم فوزه .. وحينما أبلغوه بالنتيجة كان رد فعله غريباً جداً .. ابتسم قائلاً ..

الحمد لله أن أعادنى لطريقى الذى كدت أن أضله

واستطرد قائلاً .. حكمة استخلصتها من هذا الموقف وهى :-

إن طرق المجد ثلاثة .. المال والسلطة والعلم ، ومن الخطأ أن يسير الإنسان فى أكثر من طريق .. لأن هذا الطريق الذى كدت أن أضيع فيه تسبب فى تدهور إنتاج المصنع أثناء انشغالى بالحملة الانتخابية .. ولو نجحت لخسرت الكثير ولذلك سأظل أرددها .. الحمد لله .
وتصادف أن لا يستمر هذا المجلس كثيراً .. فبعد بضعة أشهر قامت الوحدة بين مصر وسوريا فى فبراير عام ١٩٥٨ .. فحلوا المجلس .

-٤-

استورد الشيخ محمد المزلاوي عام ١٩٦٠ محطتين لتوليد الكهرباء من ألمانيا الغربية تكفيان لإنارة مدينة سوهاج بالكامل .. وحلت محلها الآلات البخارية الكبيرة التى تغذى المصنع باحتياجاته الكهربائية .. ولحرصه الشديد على توفير الطاقة .. وإطالة العمر الافتراضى للماكينتين .. أمر عماله بأن تعمل إحداها لمدة أسبوع .. وتتوقف الأخرى .. ويتبادلان العمل أسبوعياً ..

وفى عام ١٩٦١ .. كانت فرحته لا تضاهيها أى فرحة فى الدنيا .. وأقام احتفالات كبيرة احتفاء بتصميم أول ماكينة لضخ الزيت الخام .. والتى كانت تستورد من إنجلترا .. وتم تصنيعها بالكامل داخل ورش المصنع .. ودخلت الخدمة وعملت بكفاءة كبيرة كمثيلتها الإنجليزية .. وسر فرحته وسعاده أنها صنعت بأيدى مصرية .. أيدي عمال مصر .

وفى نفس العام شب حريق كبير بالمصنع .. فهرول العمال لإنقاذ مصنعهم من الحريق .. وجرى البعض إلى الشيخ محمد ليخبروه بما حدث .. فاستقبل الخبر بهدوء شديد وهو يقول لهم ..
إن الله لا يضيع المال الحلال أبداً .

ولصدق مقولته وإيمانه بها كان الله معه .. وأمكن السيطرة على الحريق .. ولعجائب

القدر .. أن الخسائر كانت لا تذكر لأنه راعى الله فى عباده من العاملين فى مصانعه .. وراعى طبقة الفقراء .. وحارب السوق السوداء .. وراعى الخالق عز وجل فى الأموال التى تدخل بيته ويأكل منها أولاده .. أن لا يكون فيها قرش واحد من حرام ..

وها هو يعلم ابنه المرحوم صبرى درساً فى الأمانة .. حينما جاءه تاجر كُسبه من أخميم وعرض عليه شراء نصف إنتاج المصنع بسعر ١٢ جنيهاً للوح الكُسب .. فى الوقت الذى كان يبيع فيه اللوح بسبع جنيهاً .. وعلم الشيخ محمد بالواقعة .. وبذكاءه وقناعته بأن الأمانة أهم من أى مكسب حرام .. ولو كان بالملايين ..

قال لابنه وهو يعلمه درساً فى الحياة والاقتصاد والأمانة .. يا بنى هناك شىء أفضل من ذلك ..

فقال له صبرى .. وما هو ؟

قال ..

سيحضر غداً أحد التجار الكبار ومعه شحنة بها مائة ألف جنيه .. فما رأيك أن يقوم العمال بربطه .. وأخذ الشحنة منه
فرد عليه ابنه بلهجة غاضبة ..
أنسرق الرجل .. هل نحن لصوص ؟
فكانت الإجابة الحكيمة من رجل محنك ..
أترفض أن تسرق التاجر الغنى .. وتقبل أن تسرق الفقراء .

الفصل العاشر التأميم

- ١ -

رأى الشيخ محمد المزلاوى أن ثورة يوليو ١٩٥٢ هى أهم حدث تاريخى حدث لمصر ..
 فهى ثورة شعب بأكمله عبرت عن آماله ومطالبه ..
 ولأنه ابن الأرض المصرية فقد سعد أيما سعادة بأن يحكم مصر أولادها بدلا من الإنجليز ..
 وآمن بمبادئ الثورة فى الإرادة الوطنية والإيمان بحق الوطن فى حرية أراضييه .. وحق المواطن
 فى احترام كرامته وأدميته وأمنه داخل هذا الوطن .
 ورأى أيضاً أن أعظم شئ يقدمه للثورة ومصر بمساعدتها من خلال عمله لرفع اقتصادها ..
 والسعى إلى تشغيل العمال فوفر ٥٠٠٠ آلاف فرصة عمل .. وزيادة الإنتاج المحلى عبر مصانعه التى
 كانت تعمل ليل نهار .. إلا أن القوانين التى صدرت ما بين عامى ١٩٦١ و ١٩٦٤ لتأميم قطاعات
 واسعة من الاقتصاد المصرى فى المجالات الصناعية والتجارية والخدمية .. والتى طالته كانت
 صدمة بكل تأكيد لمشاعره الوطنية .. وكأنسان أفنى عمره فى عمله والذى بدأه من الصفر .. إلى
 أن بنى امبراطوريته دون أن يمد يده لأحد أو يساعده أي إنسان .. باذلاً الجهد والعرق والدم على
 حساب حياته الشخصية وراحته .. وبعد أن أتم بناء هذه المصانع الضخمة والتى ساهمت فى
 البناء الاقتصادى لمصر .. يفاجأ بمن يسطون عليه ..
 وبلا رحمة يأخذون كل شئ .. فيضيع الحلم ..
 ويشعر أنه كان يعيش فى حلم جميل تحول فجأة إلى كابوس قاتل دمر كل المعانى الجميلة
 التى كان يربى عليها أولاده .. ومن قبلهم نفسه التى رباها على هذه المعانى من عمل دؤوب ..
 ونظام وتنظيم وحب للعمل .. والإخلاص فيه وله .. وأن ما يحققه من نجاح هو قسمه بينه
 وأولاده .. ووطنه .. وتسائل بينه وبين نفسه وهو يجلس وحيداً أمام نهر النيل بسوهاج ينظر
 إلى الماء وهو يتهاذى أمامه ..
 لماذا فعلوا ما فعلوه ؟ هل هو حقد أم ضغينة أم كره ؟
 لقد بدأت من الصفر .. ويعلم الله أن كل قالب وضعته فى هذه المنشأة من عرقى وجهدى
 وفكرى ..

فلماذا يساوون بينى وبين غيرى ممن ضل الطريق وظلم .. وأساء استخدام أمواله ونفوذه .. وأذل الناس ؟

وانهمرت الدموع .. دموعه الغالية .. وصرخاته المكتومة تكاد تفتك بضلوع صدره .. ولا يستطيع أن يبوح بها حتى لأقرب المقربين منه .

لماذا ؟ .. لماذا ؟ لقد فرحت بالثورة كأنسان مصرى عشق ويعشق تراب بلده .. وساندتها بعمله .. وبزيادة الإنتاج .. وفى أحلك المواقف التى مرت بها مصر .. لم أتوقف عن العمل .. حتى لا تمد مصر يدها إلى من يحاول إذلالها أو النيل منها .. لم أظلم عاملاً يوماً .. ولم أحصل على شيء ليس من حقى .. حاولت وعملت على أن أكون عادلاً قدر إمكانى .. فما جريمتى التى ارتكبتها ؟ ما جريمتى التى ارتكبتها ؟ .. حتى بيتى الذى بنيته بعرقى وكفاحى .. يريدون سلبه منى ..

فأين الأمان ؟ أين الأمان يارب ؟

وبدأ يستعيد ذكرياته وهو يجلس على ضفة نهر النيل

تذكر صديقة الأسوانى عبد الرزاق - وكانت تربطه به علاقة وثيقة جداً .. يدخل عليه مكتبه .. وهو منغمس فى تفكير عميق .. حتى أنه لم يلحظ دخوله .. فطرق المكتب بيديه قائلاً .. السلام عليكم يا شيخ محمد .. ماذا بك ؟ ما لى أراك منشغلاً ومهموماً ؟

فانتبه له الشيخ محمد .. وأطرق ينظر تارة للأرض وتارة أخرة لسقف المكتب وزفر زفرة حزينة وهو يقول ..

حصّة المصنع من بذرة القطن التى تورد للمعصرة لا تكفى سوى ثلاثة أشهر .

فقال له عبد الرزاق :-

محلولة بمشيئة الله ..

فسأله الشيخ محمد ..

كيف ؟

قال له ..

سأسافر إلى القاهرة .. ولن أعود إلا بالحل إن شاء الله .

سافر عبدالرزاق إلى القاهرة .. واتجه إلى أحد أقاربه وكان من الشخصيات الهامة

والمسئولة بوزارة التموين ..

ودخل عليه مكتبه ملقياً بالتحية .. فرد عليه التحية مصحوبة بسؤال يحمل الاهتمام

ماذا يا حاج عبدالرزاق ؟ هل حدث شىء فى أسوان ؟

فقال له عبد الرزاق

حضرت منذ خمسة أيام للقاهرة للبحث عن وظيفة بواب أمام أى عمارة .. ولم أجد .

فقال له المسئول ..

ماذا تقول .. يا حاج

أجابه ...

أنتم السبب

فسأله ..

السبب فى ماذا ؟

قال له ..

أنا شريك الشيخ محمد المزلاوى فى معصرة سوهاج .. وبذرة القطن التى ترسلونها من الوزارة

لا تكفى إلا ثلاثة أشهر .. وبعد ذلك سيتوقف العمل بالمعصرة .. ويتشرد العمال ..

وهنا أمسك بالهاتف وطلب المسئول عن توريد الحصى .. وأمره بزيادة حصة بذرة القطن

لتكفى العمل طوال العام .

وعندما عاد عبد الرزاق قص عليه ما حدث فضحك الشيخ محمد وهو يقول له ..

وشريكى

فرد عليه عبد الرزاق ..

كذبة بيضاء لا ضرر منها .

فابتسم الشيخ محمد وهو يتذكر هذه القصة

ثم اتجه بنظرة تجاه الضفة الأخرى من النهر .. وكانت ترسو عليه إحدى المراكب النيلية التى

تحمل الفخار .. ويتعاون العمال فى إنزال حمولتها ..

وعاد بذاكرته إلى عام وصلت فيه إلى المطحن حصة قمح رديئة .. فأرسل برسالة إلى وزير التموين يشكو فيها من رداءة الحصة .. وعدم استكمال الحصة المقررة للمطحن .. وفوجيء بعد عدة أيام بوزير التموين يتصل به ويخبره بوجود أزمة شديدة في محافظتي قنا وأسوان .. ولابد من زيادة إنتاج المطحن إلى ١٠٠٠ جوال يومياً .. فظهرت وطنية الشيخ محمد المحب لبلده .. والمستعد لبذل أى شىء من أجلها وقال للوزير ..

أرسلت لك شكوى منذ عدة أيام .. أرجو أن تنحيها جانباً حتى تنتهى الأزمة .
ووقف مع عمال المطحن يدأ بيد وجهداً بجهد وهو يقوى عزائمهم لتنفيذ الطلبية .. وإنقاذ شعب قنا وأسوان من مجاعة ستؤثر على أمن مصر الغذائى .. وتم تنفيذ الطلبية .. وتوريد الكميات المطلوبة حتى انتهت الأزمة

وفى هذه اللحظات التى كان يستعيد فيها ذكرياته جاءه صوت أعاده إلى أرض الواقع .
يا شيخ محمد .

فأجاب :-

نعم .. ماذا تريد ؟

فقال له .. أحمد خورشيد محافظ سوهاج يريد لقاءك ..

فسأله .. أين ؟

أجابه .. بنادى سوهاج الرياضى .

وذهب الشيخ محمد المزلاوى للقاء المحافظ .. وحضر اللقاء الحاج إمام عباس .. وفتح المحافظ الكلام بلهجة متعجرفة أمرة الشيخ محمد أن يعطيه القصر كاستراحة له .. خاصة وهو المكان الأفخم ليس فى سوهاج فحسب ولكن فى الصعيد كله .. فقال له الشيخ محمد ..

هذا قصر أو لنقل منزل الشيخ محمد المزلاوى وأولاده ..

فأصر المحافظ على الحصول عليه واستخدمه كاستراحة له ..

فوقف الشيخ محمد فى مواجهة المحافظ رافعاً رأسه ناظراً إليه بشموخ العظماء ..

قائلاً له ..

هذا قصرى .. وسيبقى سيدافع عنه .. ولن أسلمك إياه .. فإن استطعت المرور على جثتي ..

فهو لك

وتركه وذهب إلى فيلته داخل المصنع واجتمع بأولاده وقال لهم

سننتقل الليلة إلى القصر .. ومن الآن فصاعداً .. سيكون بيتنا الذي لن نتركه أبداً.

وبالفعل شهد القصر حياة عائلة الشيخ محمد ومولد أحفاده.

الفصل الحادى عشر بداية الصدمة

- ١ -

كان عام ١٩٦٢ بالنسبة للشيخ محمد المزلاوى هو عام بداية الأزمات الحقيقية.. وهناك فارق كبير بين هذه الأزمات وما مر علي الرجل من أزمات فى الماضي..

فأزمات الماضي التى واجهها الشيخ محمد كانت أزمات مادية - أو فى العمل نفسه واستطاع بذكائه الفطرى وقوة إرادته وتصميمه كرجل محارب أن يواجهها وينتصر عليها..

أما الأزمات التى بدأت فى عام ١٩٦٢ فهى أزمات مع السلطة الحاكمة والتى فى يدها القوة.. وكل مقاليد الأمور.. فيكفى أن تقول على أى إنسان.. هذا إقطاعى عدو للشعب والثورة.. وكانت هذه العبارة كفيلا بالقضاء على هذا الإنسان حتى ولو لم يكن إقطاعياً.. أو عدوا للشعب.. وكان الشعب معذوراً.. لأنه لاقى الأمرين على أيدي الاحتلال الإنجليزي.. ومن لا ضمير له من رجال الأعمال..

من هنا كان تصديق الشعب لأى قرار يخرج من الحكومة دون تفكير..

وكل من اتهمته الحكومة والثورة بأنه امتص دماء الشعب المصرى قبل الثورة.. فقد حكم عليه بالإعدام المعنوي.. وهو أقصى من القتل شنقا أو رميا بالرصاص..

لأن هذا الحكم يعنى قطع جميع الصلات والتواد بينه وبين أقاربه وأصدقائه وزملائه وجيرانه.. ومع كل من كان يتصل به.. حتى أطفاله الصغار من لاحول لهم ولا قوة.. تكتب عليهم العزلة عن الجميع.. ولا يستطيعون اللعب مع أقاربهم من الجيران أو فى المدرسة..

والأدهى من ذلك أنهم لا يستطيعون رد أى إهانة لهم حتى لو كانت صغيرة.. فيصبحوا من المنبوذين فى المجتمع.. لا يتعاملون إلا مع أنفسهم فتمتلئ صدورهم بالحسرة والانكسار.

- ٢ -

فى هذا العام صدر قرار رئيس الجمهورية بالقانون رقم ٤٢ لسنة ١٩٦٢ بتأميم ٥٠% من المطاحن على مستوى الجمهورية وكذا الصناعات المتلاحقة والمتداخلة معها..

وكان لهذا القرار أثره السئ.. خاصة وأنه فى مثل هذه الظروف تظهر معادن الناس

فيعرف الإنسان العدو من الصديق وبطبيعة الحال.. وكأي راجل ناجح وصاحب مال.. كان للشيخ محمد أعداء.. وكانوا يظهرون له غير ما يبطنون حتى إذا ما وقعت هذه الواقعة.. خرجوا من جحورهم ليكيدوا للرجل حتى لا تقوم له قائمة أخرى.. وليكسبوا نقطة عند الثورة والحكومة فيحصلوا على قطعة من الكعكة دون جهد أو بذل عرق..

فما يفعلونه شيء بسيط جدا.. وهو الإبلاغ عن عدو الشعب والوطن.. وهذا ما حدث ووضع أعداء الشيخ محمد أسماء باقى المصانع فى كشف التأميم بحجة أنها ملحقة ومتداخلة.. إلا أن المزلاوى لم يستسلم.. ورفع مشكلته إلى القضاء.. وحكمت المحكمة الإدارية العليا بإعادة باقى المصانع إليه..

وبعد مرور عام آخر.. وفى عام ١٩٦٣ صدر قرار رئيس الجمهورية بالقانون رقم ١ لسنة ١٩٦٣ بتأميم الـ ٥٠% الباقية من المطاحن والصناعات الملحقة بها والمتداخلة.. وحدث ما حدث سابقا وتم إضافة باقى المصانع المملوكة للشيخ محمد عن طريق من يضمرون له العداء.. ولجأ مرة أخرى إلى المحكمة العليا.. ولكنها لم تحكم له هذه المرة.. وحكمت بعدم الاختصاص.. ونزل الحكم كالصاعقة على رأس وقلب الشيخ محمد.. لأن هذا يعنى تأميم جميع مصانعه.. ولم يبق له شيء منها.. أى أن عمره الذي أفناه فى بناء امبراطوريته الصناعية ضاع فى لمحة بصر.. وبجرة قلم..

ووقف الشيخ فى المحكمة والدنيا تدور به.. وشعر أن الشمس اختفت وحل محلها ليل مظلم حالك السواد لا يرى فيه أي بصيص لنور.. وهو الرجل الذي حارب وقاتل بشجاعة الفدائيين كل الظروف التي وقفت فى طريقه وقهرها..

أما الآن ولأول مرة فى حياته يشعر بالعجز.. وإن الأيام القادمة ليست أيامه.. وأنه لا حول له ولا قوة.. والأكثر من ذلك.. أن قبره يناديه.. ورأى والده وأجداده يمدون أيديهم إليه ويشيرون له.. بأن يتبعهم.. ولم يوقظه من هذه الأوهام والأحلام إلا أولاده وهم يمسكون بيده ويخرجون به للعودة إلى منزلهم.

- ٣ -

صرفت الحكومة للشيخ محمد سندات تأميم قيمتها ١٥ ألف جنيه بواقع ٤% علي ١٥ سنة تم تصفيته بعد الضرائب فوصلت إلى ٣٠ جنيها شهريا.. وهو الحد الأقصى للتعويض مهما كان ثمن المصنع أو المصانع..

وقدرت لجنة التأميم المصانع فى حينها بمبلغ ٥ مليون جنيه سنة ١٩٦١.. أى ما يعادل ٢٠ مليار جنيه فى ٢٠١٠.. وكانت صدمة أخرى للشيخ..

فبعد أن كان يملك.. ويعطي.. ويصرف من أمواله كيفما شاء قدرت يوميته من مجموع مصانعه الكبيرة والتي غطت جميع محافظات مصر حتي الحدود مع السودان بجنيه واحد يوميا له ولأسرته..

ورغم أن هناك من طالبه بإخفاء أمواله.. أو تهريبها للخارج..

إلا أن أخلاقه كفارس أبت أن يفعل ذلك.. وقال..

لن تظلمنى الثورة.. وأنا أعتبر نفسى أحد أبنائها.. وما الذنب الذى اقترفته لأعاقب بأشد عقوبة على نفسى.. وهى حرمانى من أهم شيء فى حياتى عملى ومصانعى.

- ٤ -

لم يكن الشيخ محمد هو الوحيد الذى له أعداء.. فقد كانت للثورة أيضا أعداء ومن داخلها..

أناس أعمى الحق قلوبهم.. والضعينة والكره ضمايرهم.. فسعوا إلى إفساد حياة البعض بحجة مصلحة الثورة والوطن.. وفعل أي شيء.. وبأى طريقة ..

حتى لو ظلموا البريء.. وأهانوا الكريم.. وقضوا على آدمية الإنسان..

المهم أن تتحقق أحلامهم بأن يحلوا محل الأغنياء فى أموالهم وبيوتهم

وفى عام ١٩٦٦.. ظهرت علي الساحة قضية سميت بقضية كمشيش نسبة إلى قرية كمشيش

بمحافظة المنوفية.. واتهمت فيها عائلة الفقى باغتيال عضو لجنة الاتحاد الاشتراكي بالقرية..

وسلط الإعلام الضوء علي هذه الحادثة.. وأن فلول الإقطاع لازالت لها ذيول تحارب الثورة وتقتل رجالها..

وتم تشكيل لجنة عليا لتصفية الإقطاع.. وصدرت العديد من القرارات بالفصل والاستبعاد والحراسة والاعتقال والتعذيب المهين ونكلت بكل من سبق تأميمه.. ونزعت أرضه.. واعتبرت كل من أمت مصادره أحد أعداء الثورة.. وأنه يعمل في تنظيم الثورة المضادة لثورة يوليو.. ونتج عن هذه الحادثة أيضا مراقبة كل من تم تأميم أملاكه.. ووصل الأمر بامتناع الأصحاب والأصدقاء وحتى الأقارب من زيارة من أمت أملاكه.

وامتنع كل هؤلاء عن زيارة الشيخ محمد خليل المزلاوي خوفاً من المراقبة الدائمة له.. ومنعه كبرياؤه من زيارة أصدقائه خوفاً عليهم من أن يطالهم الأذى.. وعاش في عزلة وهو يتوقع اعتقاله في أى لحظة.. وجندت وسائل الإعلام لإظهار وحشية الإقطاعيين.. فانعزل الرجل وعائلته عن الدنيا وشعروا بأنهم مضطهدين.. وهو شعور صعب..

حولهم إلى شخصيات تخاف أن تفتح الشباك لتدخل منه الشمس فيحترقون من حرارتها.. وإذا ما قاتلهم أحد أو سبهم.. انزروا بعيدا دون أن يستطيعوا رد ظلم حاق بهم.. أو أن يذهبوا لقسم الشرطة لتقديم شكوى.. أو رفع قضية في محكمة.. لتيقنهم أنهم إذا ما فعلوا أى أمر من هذه الأمور.. فلن ينصفهم أحد.

الفصل الثانى عشر الأيام الأخيرة

- ١ -

عاش الشيخ محمد المزلاوي سنواته الأخيرة في عزلة شبه تامة عن المجتمع والناس.. الصمت لغة حديثه.. يتابع نشرات الأخبار لعله يستمع إلى بارقة أمل عبر خبر يعيد إليه ما سلب منه.. ولكنه أمل كالسراب يضيع بعد كل نشرة يستمع إليها..

وطلب من أولاده عدم ذكر اسم المزلاوي حتى لا تحدث لهم مشاكل من أي نوع هم في غنى عنها.. وحتى لا يتملق ضعاف النفوس السلطة علي حسابهم.. وإذا ما مسهم أحد بأذى.. لا يردوا عليه.. لأنهم في كل المواقف سيهانون..

وكان ينزل يوميا في مواعيد عمله إلى حديقة القصر.. يجلس فيها طوال النهار وكأنه في عمله بالمصنع.. وما أن يأتي موعد انصرافه من المصنع حتى يقوم راجعا إلى قصره مرة أخرى وكأنه يعود من العمل.. وهكذا يوميا.. يجلس في الحديقة يجتر ذكرياته منذ كان طفلاً صغيراً وحتى يومه وساعته.

- ٢ -

ظل الشيخ محمد في إقامته الجبرية الطوعية حتي عام ١٩٧١ بقصره في سوهاج.. وفي يوم ١٩٧١/٨/٢٤ نزل كعادته إلى حديقة القصر.. وأمسك برشاش الماء.. وتمر على زروع الحديقة وورودها يسقيها بالماء.. ثم تجول بنظره في كل ركن من أركان القصر وكأنه يودعه.. وجلس على كرسيه يستعيد الذكريات..

وتذكر زوجته ابنة عمه الشيخ أحمد خليل.. والتي لازمته وعاشت معه الحياة بحلوها ومرها.. لم تشكو مرة.. بل كانت سنده الحقيقي.. ولكنها فارقت الدنيا قبله بخمس سنوات.. تذكر وفاتها.. وإصراره أن يكون العزاء بقرية المزالوة تجنباً لأي مشاكل.. ورفعها للخرج عن الكثيرين من المعارف والأصدقاء.. إلا أنه فوجئ بحضور جميع عمال المصنع لسرادق العزاء.. وتأثر بهذا الموقف تأثراً شديداً.. وكان عزاء له.. أن ما فعله في حياته خدمة لأهل قريته لم يضع هباء..

هربت من عينيه دمعاته الغالية والعزيزة..وهو ينظر إلى أولاده الذين قام بتربيتهم وتحويلهم من فلاحين يتصف معظمهم بالكسل الشديد وعدم الرغبة فى العمل الجاد.. إلى أسطوات وميكانيكية بالمصنع يشار إلى مهاراتهم فى العمل بالبنان..يعملون بكل جد واجتهاد..يبذلون جهدهم وعرقهم..وبعد أن كان الواحد منهم يرتدى الجلباب ويجلس على المقهى.. أو على رأس الأرض الزراعية كالمليونير الفقير..تحولوا وبمجهودات الشيخ محمد بعد تحد كبير إلى قوة عاملة ومنتجة.. يستفيدون ويفيدون المكان الذى يعملون فيه وبلدهم ..وكان فى ذلك بعض العزاء للشيخ الذى تذكر هذا الموقف..ثم ابتسم..ونظر إلى السماء..وكانه يقول يارب يكفي هذا.. وسقطت يده إلى جانبه.

- ٣ -

خرج الشيخ محمد المزلاوي إلى مثواه الأخير فى موكب مهيب ومشى فى جنازته كل أبناء القرية..وتوقفت المصانع عن العمل وانطلق عمال المصنع عن بكرة أبيهم وعلى رأسهم مديره الحاج محمد الجندي..رغم أن المصنع كان مؤمم فى هذا الوقت .. واتجهوا إلى قصر المزلاوى وانضموا إلى الحشود المعزية .. وفاء منهم لرجل أخرجهم من ظلمة الكسل والتواكل إلى نور الاعتماد على النفس والاجتهاد والعمل.

الفصل الثالث عشر مواقف

- ١ -

تكمن براعة الشيخ محمد المزلاوي في أنه لم يتعلم الاقتصاد في كلية أو حتى مدرسة.. ولكنها الموهبة الفطرية التي خلقه الله عليها.. واستطاع أن يجدها ويستغلها أفضل استغلال.. في جميع الأزمات الاقتصادية التي واجهته.. أو في بداياته مع العمل التجاري الحر.. واستخلص لنفسه العديد من النظريات الاقتصادية التي تصادف أن تم تدريسها فيما بعد بكليات التجارة.. دون أن يكون لأي منهما صلة بالآخر.. فلا كتبها الشيخ محمد في كتاب.. ولا هو قرأ عنها في مدرسة أو كلية.. ولكنها الموهبة الفطرية..

وفي العشرينيات من القرن الماضي بحث المزلاوي عن القمح الجيد ليكسب المشتري.. والرخيص ليبيع.. ووجد ما بحث عنه في أسوان.. وقام بنقله عن طريق المراكب الشراعية إلى سوهاج.. بعد أن تعاقد مع مزارعي القمح لشراء المحصول قبل حصاده.. وللأمانة التي اشتهرت بها أسوان في التعامل.. كان يذهب إلى تاجر القمح في السوق ويتفق معه على السعر والكمية.. ويطلب منه التاجر الذهاب إلى ساحل النيل بأسوان والسؤال عن القمح الخاص به من التاجر.. ويحمل الكمية المتفق عليها من المراكب دون رقيب..

وكان للقدر الكلمة العليا بطبيعة الحال في حياته.. فكل إنسان ميسر لما خلق له.. ولأنه خلق لهذه المهنة فقد يسر الله تعالى له الطريق فيه.. ومن المواقف التي تؤكد هذا المعنى.. تعامله مع تاجر كبير من تجار السلك بالأزبكية.. يستخدم السلك في الأيسونات.. وفجأة قرر التاجر تغيير نشاطه من تجارة السلك إلى فران.. وافتتح مخبزا إفرنجيا.. وكما يسميه العامة - فرن أفرنجي - وتصادف وجود الشيخ محمد المزلاوي.. فعرض التاجر عليه شراء ما لديه من سلك بشرط أن يدفع إيجار مخزن السلك.. ولأن الشيخ المزلاوي رجل أعمال شاطر.. فلم يفكر.. أو قال له أعطني فرصة لدراسة الموضوع.. ولكنه وبحنكة ومهارة رجل الأعمال الماهر وافق علي الفور.. وبعد أن تم البيع ارتفعت أسعار السلك في تلك الفترة ارتفاعا جنونيا.. وليس كبيرا فقط..

ويشير الشيخ محمد المزلاوي نفسه إلى هذه الواقعة بقوله..
خلال أربعة أيام من شراء الصفقة أصبحت من كبار تجار السلك..
وهذا يؤكد فطنة هذا الرجل التجارية وتوفيق الله له..

ومن عجائب هذا الرجل أنه لم يقتض يوماً من بنك.. وأنشأ جميع مصانعه بالتمويل الذاتي.. كما لم يكن له أى حسابات فى الخارج أو أى اتصالات.. وحول جميع حساباته من بنك باركليز الذى كان يضع فيه أمواله إلى بنك مصر استجابة لنداء طلعت حرب.. وهو موقف وطنى بكل تأكيد..

وظل بنك مصر هو الوحيد الذى توجد به عشرات الحسابات الخاصة بالمصانع وفروع التسويق.. وربطت بينه وبين طلعت حرب مؤسس بنك مصر علاقة وطيدة.. مهدت لافتتاحه أحد فروع بنك مصر بسوهاج نتيجة نشاط شركات المزلاوى المتزايد

- ٢ -

حرص المزلاوى طوال حياته على أن لا ينتمى إلى أى تيار سياسى أو دينى.. وكانت له مقولة مشهورة علمها لأولاده..

إن طرق المجد ثلاثة المال والسلطة والعلم.. وعلى الإنسان أن يختار طريقاً واحداً فقط.. وكان المكان الذى يروح فيه عن نفسه هو مسرح يوسف وهبى.. مسرح رمسيس.. واستفاد كثيراً من هذه المسرحيات فى حياته.. حيث كان يعتبرها إحدى مدارس الحياة.. وارتبط بعلاقة وثيقة مع الأنبا أنطونيوس مطران سوهاج امتدت إلى أربعين سنة.

- ٣ -

وصلت مساحة مصانعه إلى ٥٠ ألف متر مربع أى ما يساوى ١٢ فداناً.. ووضع لها رسماً هندسياً دون الاستعانة بأى مهندس.. ونفذها على أرض الواقع فأصبحت مدينة كاملة بجميع مرافقها من محطة للكهرباء.. ومحطة رفع مياه.. ونظام للصرف الصحى مستقل.. ومعمل كيميائى لمراقبة جودة الإنتاج وورش للسبك وسروجى ونجارة ومسبك ومصنع كرتون.. وجراج لأسطول سيارات النقل.. ومحطة وقود للسيارات ومطعم للعمال يقدم وجبات مدعمة.. ومساحات كبيرة لتخزين القمح وبنذور القطن.. وبكميات تكفى لعام كامل.. وميزان للسيارات تزن السيارة بكامل حمولتها.. ومكاتب للإدارة ومسجد للصلاة واسطول ضخ من السيارات ووسائل نقل لنقل المواد الخام من وإلى محطة السكة الحديد بسوهاج ليتم توزيعها عبر القطارات إلى ١٨ فرعاً

من سوهاج وحتى الشلال بأسوان ..

وكان له مفهومه الخاص فى التقرب للخالق عز وجل ..

فأعمل عبادة ومنح فرص عمل للمواطنين وفتح بيوتهم من خلال عملهم لديه فى المصنع .. ومحاربة البطالة .. هو من أسمى صور التقرب من الله عز وجل .. وبهذا المبدأ والفكر .. استوعبت مصانعه الجزء الأكبر من سكان قرية المزلاوي .. والقرى القريبة منها .. إلا أن العقبة الكبرى التى واجهته كانت فى تعامله مع طبيعة الإنسان فى هذا المكان فقد كانت الصفات السائدة لأبناء المكان .. ولطبيعة الجو الحارة .. التواكل والكسل وعدم احترام العمل ..

ولهذه الأسباب كان معدل التنمية فى الصعيد شبه منعدم .. وأدى كل هذا إلى انتشار الفقر بين الناس .. ورغم أن أكثر شيء صعوبة فى الحياة أن تغير طبيعة البشر .. فقد كان الشيخ محمد المزلاوي لديه من الصبر والذكاء الكثير حتى تغلب على هذه الصفة المقيته .. ونجح فى بث النشاط فى نفوسهم واحترامهم للعمل والمكان الذى يعملون فيه .. والمحافظة عليه ..

- ٤ -

طموح الشيخ محمد المزلاوي لم يكن له حدود ..

وحينما سئل لماذا أنشأت مصانعك فى سوهاج على شكل ثلاثة أضلاع فقط فأين الضلع الرابع؟

قال لأن نهايته فى القاهرة ..

وهذا يوضح مدى طموح الرجل .. والذى كان يسعى إلى تحقيقه بالتوسع فى أعماله ومصانعه إلى الحد الذى يرضى طموحاته والتى كانت بلا حدود .. ولا يعنى طموحه وحبه لعمله .. افتقاده للنواحي الإنسانية .. وإلا كان آلة بلا قلب أو روح .. لعلمه أن من يرزقه هو الله .. ولا بد أن يسدد أموال زكاته ليزيد الله من نعمه عليه .. وإلا منعها منه .. فكان دائم التبرع شهريا .. من إنتاج المصنع للملاجيء سواء كانت للمسلمين أو المسيحيين .. وللجمعيات الخيرية .. كما ساعد فى تعيين فلاحين قريته بمصانعه .. وفى رمضان يذبح العجول ويوزعها على عماله .. وأعطى الحق للعامل فى استخدام جميع منتجات المصنع داخله .. وبدون حد أقصى .. فارتبط به العمال وأهل قريته وأحبوه .. كما تبرع أيضا لكلية الهندسة بجامعة أسيوط واشترط استخدام التبرع فى تدريب الطلبة عمليا ..

- ٥ -

محمد الشيخ علي خادم الشيخ محمد الأمين والمطيع.. وكانت له شخصية نادرة.. أحبه المزلاوي.. ومن غرائب هذا الرجل أنه رفض الحصول على أى مرتب من الشيخ محمد.. لأنه من وجهة نظره هما أصدقاء.. والصداقة تحتم عليه أن يخدم صديقه دون أن يحصل على أى مليم.. وفى أحد الأعياد وكعادة الشيخ المزلاوى أن يعطى عماله العيديه.. والتى قام بتوزيعها على عمال المصنع.. ونسي محمد الشيخ علي..

وحينما تذكر أنب نفسه كثيراً فكيف لا يعطى خادمه الأمين العيديه.. وماذا سيقول الرجل عن هذا السهو.. وأرسل فى طلبه وحينما حضر بين يديه اعتذر له اعتذاراً شديداً عن هذا السهو غير المقصود..

ومد يده إليه بعيديته.. ففوجئ ببرد خادمه عليه والذى أكد له وبعشم الأصدقاء أن مال الشيخ محمد هو ماله.. وما يقوم به من عمل.. هو تطوع من صديق لصديقه.

- ٦ -

ربى أولاده علي القيم والأخلاق المستمدة من مجتمعه الشرقي.. ولاحظ أن ابنه الأكبر صبرى والذى تربى داخل المصنع يدلل من الجميع.. حتى إذا ما أخطأ.. وجد من يبرر له أخطاءه فهو ابن صاحب العمل.. ولأن الشيخ محمد رجل شرقى فقد رفض هذا التدليل.. وحتى لا يتكرر نفس الخطأ مع ابنه إبراهيم أبعدته عن منطقة نفوذه فى المصنع.. وأدخله كلية فيكتوريا حتى لا يعتمد على والده.. ورغم قساوة التعامل داخل الكلية الداخلية.. فقد كان بعيد النظر.. وكان محققاً تماماً فى هذه الخطوة التى صنعت من إبراهيم المزلاوى رجلاً يعتمد علي نفسه فى حياته دون أن يعتمد على نفوذ وسلطة والده.

- ٧ -

ومن المواقف الطريفة فى حياة المزلاوى.. أن طلب منه الجيش فى العشرينيات من القرن الماضى أن يحضر بئراً ارتوازيًا لاستخداماتهم العسكرية وتثبيت ماكينة ديزل عليه فقام بعمل البئر واشترى الآلة تمهيداً لإرسالها لأسوان..

وفى أحد الأيام فوجيء بعربات الجيش تدخل الشارع وتقف أمام مكتبه.. وينزل منها ضابط كبير ومعه جنود ويتجهون للمكتب.. فانزعج وسأل الضابط..

ماذا حدث؟

فأجابه الضابط - قائلاً ..

جننا للإشراف على نقل ماكينة الديزل إلى محطة القطار تمهيداً لنقلها لأسوان فنظر الشيخ محمد إلى الضابط وجنوده والعربات التي حضروا بها ... وقال له وببراءة شديدة .. لقد أرسلتها مع - العربي - عربية كارو يجرها حمار .. والعربي هو من يقودها - وسيقوم بجميع الإجراءات .

- ٨ -

وللشيخ محمد المزلاوي مقولة مشهورة تلخص حياة هذا الرجل العملية .. قالها لأولاده .. عليكم أن ترفعوا رؤوسكم ولا تخشوا أى شئ فى الدنيا .. لأنني حرصت كل الحرص وحاسبت نفسي حساب الملكين قبل أن أموت .. حتى لا أطعمكم بقرش حرام .. أو يدخل جوفكم قطعة خبز من حرام .. وأحمد الله أنني لم أدخل قرش حرام حياتى.

الفصل الرابع عشر حكايات

الحاج إمام عباس من أبناء سوهاج وكان أحد أصدقاء الشيخ محمد المزلاوي .. وحضر معه العديد من المواقف في حياته .. فيتذكر الأزمة الاقتصادية العالمية في عام ١٩٢٧ .. وفي هذا الوقت كان الشيخ محمد قد أنشأ مكتب السبئية لمقاولات المواسير الارتوازية .. وكان له مديونيات عند العملاء تتراوح بين سبعة آلاف وعشرة آلاف جنية .. ورفع العديد من القضايا لاستردادها .. ونظراً للأزمة الاقتصادية لم يستطع تحصيل أمواله .. فأقدم على عمل هو الأغرب والأعجب .. فقد قام بجمع جميع أوراق المديونيات وحرقها .. ونقل نشاطه إلى سوهاج وأجر مكتباً له في شارع المحطة بجوار صيدلية ميشيل ... واتفق مع المزارعين من أسوان على شراء محاصيل القمح لتوريدها له في سوهاج لتشغيل المطحن ثم أجر مكتباً آخر بشارع البحر بسوهاج عمارة الشرقاوى منزل صلاح حمادى لإدارة عمليات المطاحن الخاصة به .. أو المشارك فيها مع أولاد عزاز بسوهاج .. واشترى أراضى بشارع أسيوط بسوهاج لتوسيع أنشطته وبنى عليها المطحن ومعصرة الزيوت والكسب .. وكان يقوم بإنهاء أوراقه ومستحقاته بنقصة وبعيداً عن المعارف والإكراميات .. كما كان عضواً بنقابة التجاريين من عام ١٩٤٢ وحتى التأميم تخللها فترة رأس فيها الغرفة التجارية بسوهاج منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٥٤

وطلب الشيخ المزلاوي من الحكومة عمل مصنع هدرجة .. وحضرت لجنة من وزارة الصناعة والتقت بالشيخ محمد وعرض عليهم أفكاره ودرسوا الموضوع .. ولم توافق عليه اللجنة .. وبعد فترة قامت الحكومة ببناء المصنع بنفس أفكار المزلاوي .. ونسبتها لنفسها .. وفي وقت الوحدة بين مصر وسوريا حضر أعضاء مجلس الأمة السوري لسوهاج .. وتم حجز فندق لهم .. إلا أن الشيخ محمد أصر على استضافتهم بقصره .. وتم شراء كل الأسره الموجودة في ذلك الوقت وفرشها خلال ساعات واستضاف الوفد السوري

- ٢ -

ويتذكر احمد محمد حسين نائب رئيس النقابة العامة للعاملين بالصناعات الغذائية الأسبق الكثير من الوقائع للشيخ محمد المزلاوي يقول .. انشئ مطحن المزالوه في العشرينيات

كانت سעתه ٥ حجارة طن .. وأرسل الشيخ محمد المندوبين لشراء الغلة من المحافظات من سوهاج إلى أسوان .. وكانت له الأولوية في شراء حصة الغلة الخاصة ببنك مصر بالشونة الموجودة حالياً بجوار مصنع مبارك .. وكانت علاقة الشيخ محمد المزلاوى قوية جداً بالسيد طلعت حرب مؤسس بنك مصر .. والذي افتتح فرعاً للبنك بسوهاج بعد أن زادت استثمارات الشيخ محمد فيه .

أما مطحن سوهاج بشارع أسيوط بسوهاج فقد كانت سעתه ١٨ حجر طحن .. وكان المطحن الأكبر في ذلك الوقت يليه مطحن الرمالى بالقاهرة ..

وتكفل مطحن سوهاج بتغذية الوجه القبلى بالكامل .. ووصل إنتاجه اليومي إلى ١٢٠٠ جوال دقيق .. ويدخل للمطحن يومياً ١٠٠٠ إردب قمح .. ووصل عدد العمال إلى ٢٥٠ عاملاً يعملون في ثلاث ورديات على مدى الأربع وعشرين ساعة يومياً طوال العام .. ويعمل المطحن بالماكينات الديزل .. وبدأ في إنشاء المعصرة عام ١٩٥٠ لصناعة الزيوت من بذرة القطن وأحضر المعدات الخاصة بالمعصرة من بريطانيا .. وبنيت في عامين وعملت بطاقة ٢٠ مكبس هيدروليكي بسعة ألف إردب يومياً وأحضر خبراء من بريطانيا لتركيب المكابس وهم الخبير ارسينوس وابنه نيكول .. وبعض المساعدين وقاموا بتركيب عشرة مكابس فقط .. وسافروا لبلادهم لحضور أعياد الكريسماس ... فقام الشيخ محمد بتركيب العشرة مكابس الأخرى بمساعدة عمال المصنع .. بعد أن راقب الخبراء وتعلم منهم دون أن يشعروا كيف يركبون المكابس .. ووصل إنتاج المعصرة في ذلك الوقت إلى مائة طن زيت يومياً .. وكانت تعمل بواسطة ماكينة بخار بطاقة قدرها ٣٠٠ حصان وأنتجت نوعين من الزيوت .. الأول زيت براميل بسعة مائة كيلو .. ويتم توزيعه على التموين والثاني حر ماركة الهدهد ومن الحجم الصغير .. ووصل عدد العمال إلى خمسمائة عامل .

- ٣ -

أنشئت وحدة تبريد بالمصنع لفصل الاستبرائين من الزيت ومن فائض التبريد .. وكان هذا نتاج فكر الشيخ محمد المزلاوى . لعمل مصنع ثلج .. والذي بدأ بطاقة إنتاجية خمسمائة بلاطه تقريباً .. ووزن كل بلاطه ثلج ٢٢ كيلو جرام .. وأنتج من عصير الزيتون الأحماض الدهنية قبل دخوله مرحلة التكرير نمرة واحد .. والذي يتم إنتاجه من مادة الاستبتارين وفكر بعد ذلك في إنشاء مصنع الصابون وبدأت الفكرة باستخدام الأحماض الدهنية مع إضافة الشحوم

الحيوانية .. فانتج خمسة أطنان من الصابون المستخدم في الغسيل .. ووصل وزن الصابونة إلى أربعمئة جرام ماركة أسوان .. و أنتج نصف طن صابون تواليت ماركة الخليلي.

- ٤ -

قام بعملية التطوير والتحديث لطاقة محركات المطاحن والمعصرة من عصر الديزل إلى الكهرباء .. واستورد عدد ٢ ماكينة ديزل مولد كهربائي بطاقة ميغا وات بالماكينة الواحدة من ألمانيا الغربية .. وكانت تعتبر في هذا الوقت أكبر محطة توليد كهرباء بسوهاج لتشغيل المطاحن والمعصرة وجميع الأقسام المختلفة داخل المصنع بالطاقة الكهربائية .. في نفس الوقت احتفظ بطاقة الديزل وطاقة ماكينة البخار (وابور البخار) والموجودة بالمصنع كاحتياطي لأي أعطال مفاجئة في الطاقة الكهربائية .. وحضر خبراء ألمان لتركيب الماكينتين بعد أن تم تجهيز المبنى .. وركب الخبراء الماكينة الأولى .. واكتفى بتركيبهم لها ... وقام بتركيب الثانية تحت إشراف شخصياً .. وبمساعدة الأسطى عابدين عزت وعمال المصنع .. وأنشأ ورشة بالمصنع بها عدة مخارط ومقاشط ... وجميع المعدات لتصنيع قطع الغيار لزوم كافة أقسام المصنع المختلفة ... وضمت أفضل الفنيين والصناع بمحافظة سوهاج في ذلك الوقت ... واختارهم بنفسه وقام بمعاونتهم ولأول مرة في مصر بتصنيع طلبية كبس هيدروليكي بطاقة ٢ طن على البوصة المربعة ... وفاقته قدرتها في ذلك الحين مثيلتها الواردة من شركة روزدونس الإنجليزية.

- ٥ -

فكر الشيخ محمد المزلاوي في عمل صفارة - نفير - بضغط البخار يستمع إليها الناس لمسافة أكثر من عشرين كيلو متر مربع ... تطلق يومياً في بداية ساعات العمل ... ومع نهاية كل وردية ... وفي شهر رمضان المبارك لتنبيه الأهالي بوقت الإفطار ووقت السحور خاصة وأنه لم تكن بالمحافظة كهرباء.

- ٦ -

أصدر دليل الصناعات الصادر من وزارة الصناعة عام ١٩٥٨ مذكرة للإنتاج السنوى لمصانع سوهاج الكبرى ... أو مصانع الشيخ محمد المزلاوى ... وحدد فيها مساحة المصنع بخمسين ألف متر مربع شملت معصرة زيت بذرة القطن بقوة ٢٠ مكبس وإنتاجها ٢٠ ألف طن من زيت الطعام بالإضافة إلى ١٥ ألف طن من الكسب.

مطحن الغلال بقوة ١٨ طاحونة ... ينتج ١,٥ مليون جوال.
من الدقيق بالإضافة إلى ٥٠ ألف قنطار من الردة و ١,٣ ألف طن استيارين.
إنتاج مصنع الصابون ٢٠٠ ألف صندوق.

إنتاج مصنع الثلج ٣٠٠ ألف لوح ثلج.
أفرع المصانع بالوجة القبلى ١٨ فرعاً ... هى ... أسوان - دراو - كوم امبو - ادفو - إسنا - الأقصر - قوص - نقاده - قنا - دشنا - نجع حمادى - بهجورة - أبو طشت - فرشوط - البلينا - برديس - جرجا - سوهاج.

- ٧ -

بعد تأميم مصانع سوهاج الكبرى لما لكها الشيخ محمد محمد خليل المزلاوى ... فشلت الحكومة فى إدارة المصنع وانتهى الأمر ببيع آلات المصنع خردة ... أما أرض المصنع فتم بيعها أيضاً من قبل الحكومة ... وأصبحت أبراجاً سكنية ... ولم يتبق إلا المطحن الذى آل إلى شركة مطاحن مصر العليا ... ولكنة لقى نفس المصير فيما بعد.

الفصل الخامس عشر الخلاصة

- ١ -

نجح الشيخ محمد محمد خليل المزلاوى فى وضع يده على مفاتيح النجاح وهى ..
الهمة والعزيمة والطموح والجد .. ومفارقة الكسل وصعود سلم الإبداع ..
لقد استحضر هذا الرجل النفع للآخرين .. وليس لنفسه فقط ولم يضق ذرعاً بالمحن التى
صقلته وقد حث عقله وأشعلت همته .. وسار فى أعظم طريق وهو طريق العمل الجاد ..
البلىسم لأى أزمة .. والمعالج لكل مشكلة .. والكنز الحقيقى للإنسان .. فقد آمن بأن العاقل ليس
له رقم .. فهو صفر ..
والفاشل يمقتة الناس .. والمخفق رخيص .. فركز اهتمامه على عملة وانغمس فيه وذاب ..
وعشقة فخرج منه الإبداع كموسيقار موهوب ..
اعتبر الشدائد خير ونعمة .. ولم يضجر أو يمل .. فجاء ووجد .. وزرع فحصد .. وصبر
فحضر.

- ٢ -

هذه هى شخصية الشيخ المزلاوى باختصار شديد ..
وهذا لايبنى أنه لم يخطئ .. أو أنه ملاك ..
ولكنه كان إنساناً أصاب وأخطأ .. واجتهد فى عملة قدر طاقته التى تسع الجبال والسهول
والوديان .. فنجح .. ولكنه وكما يقال .. لاتأتى الرياح دائماً بما تشتهى السفن .. فقد واجه
عاصفة عاتية وهو فى قمة مجده .. عاصفة لاتستطيع أن تقف أمامها أى قوة مادية ..
وهى عاصفة النفوذ والسلطة .. التى افتقدت للعقل والحكمة .. فذرت كل ما وقف أمامها من
أخضر ويابس .. ولم تفرق بين الغث والسمين .. ولم تفرق بين من ساعد بلده .. ومن عمل لنفسه
فقط ..

وعلىنا أن نكون موضوعيين فرجل الأعمال الذى يدفع أمواله من جيبه يعمل من أجل مصلحته
أولاً .. وبعد ذلك يدخل ضمن أحد صنفين .. من يعمل لمصلحته ونفسه فقط دون النظر

أى مصلحة أخرى .. فيمتص دماء كل من يتعامل معهم لمصالحه الشخصية .. والصنف الثانى من يعمل لمصلحته وهذا حقه .. ولكنه ينظر إلى مصالح الوطن الذى مهد له سبل النجاح ليعمل ويكسب ويعيش فى رغد وهناء عيش ... وينظر إلى العاملين معه والذين يبذلون الجهد والعرق ليعيشوا كزملاء .. وكعامل مساعد أساسى فى مكاسبه وحياته المرفهة له ولأولاده.

- ٣ -

ولا يمكن بطبيعة الحال أن نساوى بين الصنفين ..

وهنا يأتى دور الحكومة العاقلة والحكيمة .. وهو دور المراقب القوى الذى يحاسب من يخرج عن النص .. بقوة .. لا أن تأخذ العاطل فى الباطل كما حدث فى التأميم والذى ظلم العديد من رجال الأعمال الوطنيين المخلصين الذين بذلوا الغالى والرخيص من أجل أنفسهم وهذا شيء طبيعى ومن أجل رفع اقتصاد وطنهم ومساعدة شعبهم .. والحكومة فى القضاء على البطالة ومن هؤلاء الشيخ محمد المزلاوى الذى بدأ حياته من الصفر .. وجد واجتهد وبذل الفكر والجهد والاجتهاد حتى وصل الى قمة النجاح فى عالم المال .. ورجال الأعمال .. ويكفى هذا الرجل من أعمال وطنية أنه قضى على البطالة فى قريته والقرى المحيطة به .. وغطى إنتاج مصانعه جميع محافظات مصر وحتى الحدود.

- ٤ -

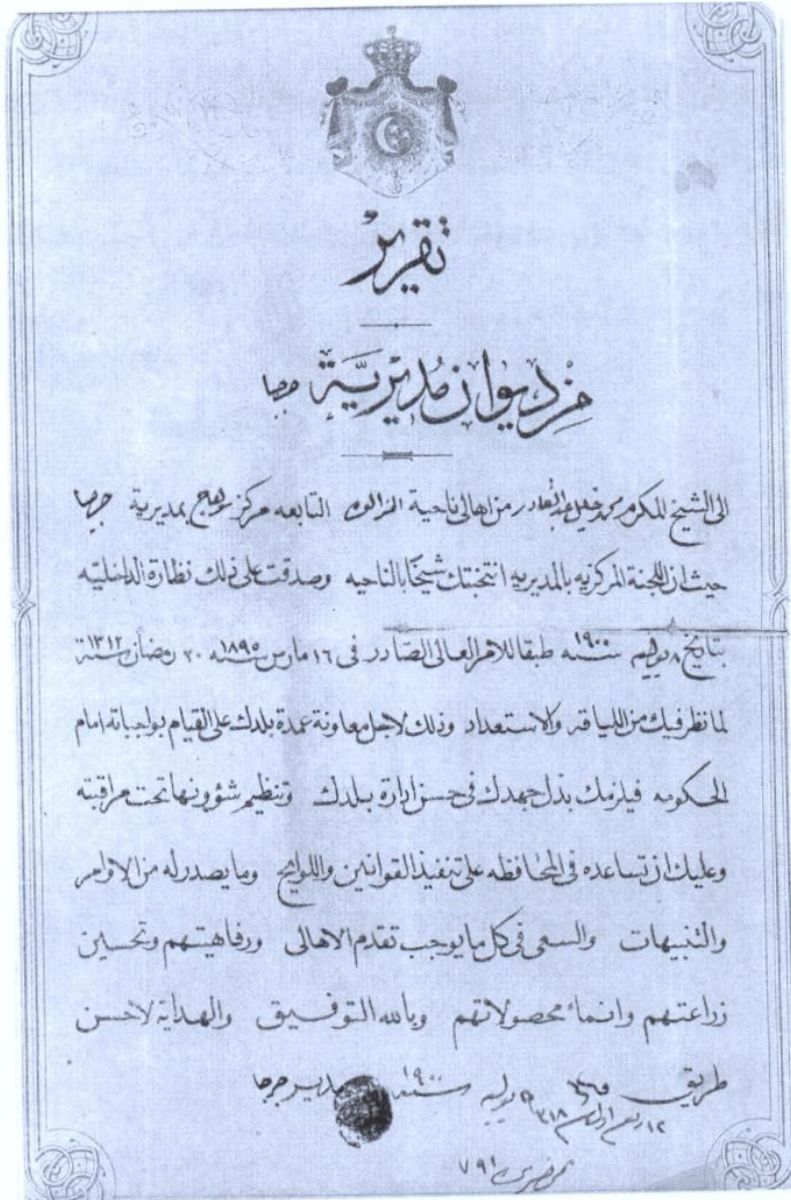
هذا الرجل لم يهرب أمواله للخارج .. ولم يترك ساحة معركة وهرب .. لأنه آمن بمصر وبثورتها ... ولكن كان للحكومة فى ذلك الوقت رأى آخر أساء كل الإساءة للثورة .. وفرض السؤال الأهم .. هل ما حدث منهم غل وحقد وطبيعة ثأرية للتنكيل برجال الأعمال وإذلالهم والتسلط عليهم دون تفرقة بين الطيب منهم والشرير؟ وللأسف أنهم أساءوا الحكم على الجميع ووضعوا التفاح كلة فى سلة واحدة الصالح منه مع الطالح.

- ٥ -

واليوم نحاول أن نعيد لرجل قدم الكثير لمصر بعضا مما ضاع منه وفقده ..
اليوم نحاول أن نعيد للشيخ محمد محمد خليل المزلاوى بعضا مما أخذ منه فى وقت

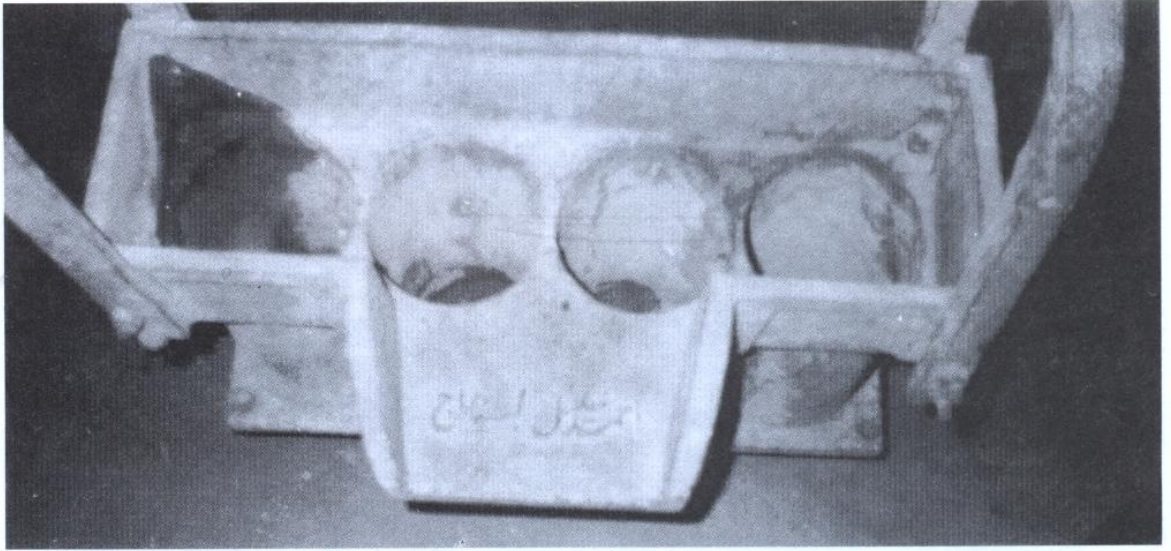
ضائع تاهت فيه الحقائق .. وامتزجت فيه الأهواء .. بإلقاء الضوء على حياته وأعماله التي لا يمكن أن ينكرها إلا جاحد أوحاقد .. فتحية إلى هذا الرجل المكافح .. المقاتل الفدائي الذي وهب حياته من أجل حلم نجح في تحقيقه .. ورآه بأم عينيه وعاشه .. وعلى الرغم من أنه تحول في نهاية حياته إلى كابوس مرعب إلا أنه مات واقفاً على قدميه .. ولم يذل أو يضعف أوتهن عزائمه .. ويكفيه فخراً ما قدمه لمصر من مواهب في مجال الصناعة .. ولو لم يكن موجوداً لظلوا في قراهم يجلسون على المقاهي يلعبون بالنرد .. وينغمسون في الكسل بلا عمل .. وهؤلاء هم العمال والأسطوات في المجالات الصناعية المختلفة .. وهؤلاء كانوا النواة الحقيقية لعمال مصر الآن في الصعيد .. يجتهدون .. ويبذلون العرق ويكافحون من أجل أنفسهم ووطنهم مصر .. وجميعهم يترحم عليه.

ملحق الصور



شهادة تعيين الشيخ محمد خليل شيخا للبلد

الأوب



صورة للماكينة يظهر عليها اسم مخترعها أحمد خليل



حفر لأحد الأبار الإرتوازية

شهادة

رقم القيد :
رقم الملف :
المرافقات :

شهادة الختم

الغرفة التجارية المصرية
محافظة سوهاج
شارع القيسارية الشرقى
أمام بنك مصر
٢١٠٠٥٧ - ٢٢٢٠٢٦

شهادة عضويه

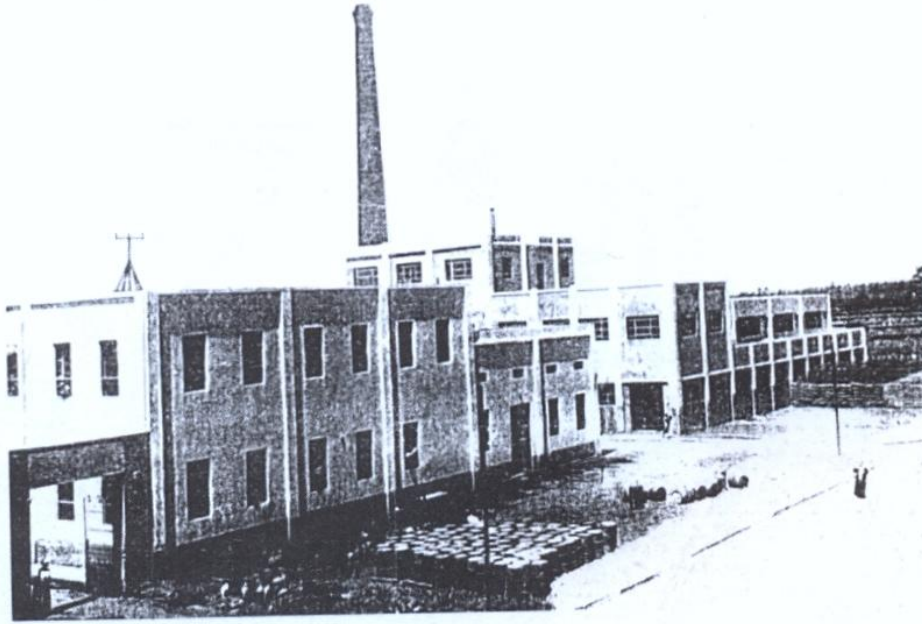
تشهد الغرفة التجارية المصرية لمحافظة سوهاج بأن السيد / محمد محمد خليل
المزلاوى كان يشغل منصب رئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية خلال الفترة من عام
١٩٤٨ وحتى ١٩٥٤ .
وأعطيت له هذه الشهادة بناء على طلب السيد / إبراهيم محمد محمد خليل المزلاوى
دون أدنى مسئولية على الغرفة .
وتفقدوا يقول فائق الاحترام

تحريراً فى ٢٠٠٨ / ٩ / ١٠
أكرم

رئيس مجلس الإدارة
مختار محمد صوفى فاضل أبو الحسن

رئيس الاتحاد العام للغرف
محافظة مصر
مختار محمد صوفى فاضل أبو الحسن

شهادة تثبت شغل الشيخ محمد المزلاوى لمنصب
رئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية بسوهاج

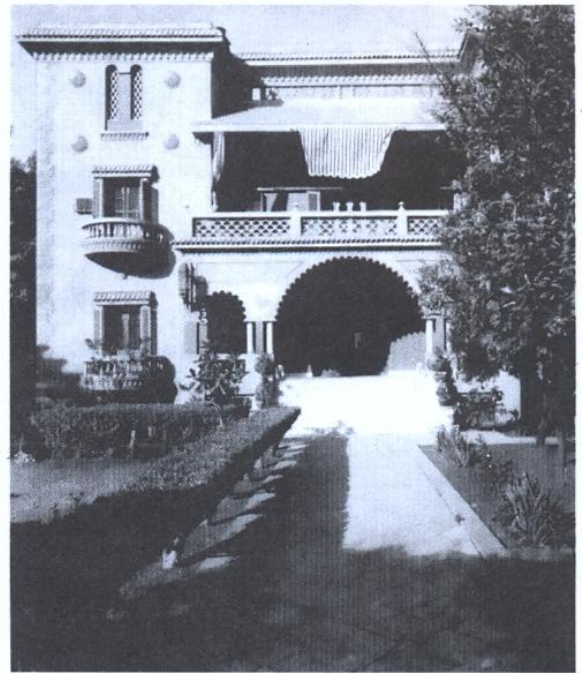


مصانع محمد خليل المزلاوي بسوهاج

مصانع محمد محمد خليل المزلاوي



القصر من الداخل



القصر من الخارج

قصر المزلاوي... من أفضل ٣٠ تحفة معمارية في مصر

الفهرس

٣ المقدمة
	الفصل الأول
٥ بر الابن لأبيه
	الفصل الثاني
٩ أرض الرجال
	الفصل الثالث
١٣ قرية المزالوة
	الفصل الرابع
١٧ بوادر العبقرية
	الفصل الخامس
٢١ الحرب العظمي
	الفصل السادس
٢٥ انتعاشة .. وأزمة ضخمة
	الفصل السابع
٣١ الحرب العالمية الثانية
	الفصل الثامن
٣٧ العدوان الثلاثي

الفصل التاسع

الفنان ٤١

الفصل العاشر

التأمين ٤٧

الفصل الحادي عشر

بداية الصدمة ٥٣

الفصل الثاني عشر

الأيام الأخيرة ٥٩

الفصل الثالث عشر

مواقف ٦٣

الفصل الرابع عشر

حكايات ٦٩

الفصل الخامس عشر

الخلاصة ٧٥

ملحق الصور ٧٩

ملاحظات :

بين ثورتى ١٩١٩ و ١٩٥٢، شهد الاقتصاد المصرى بداية النهضة، مقترنة بالجهود الخلاقة التى بذلها طلعت حرب من خلال مشروعاته العملاقة، فضلاً عن عدد من الرموز والأعلام الذين أسهموا فى اقتحام مجالات الصناعة والتشييد والتجارة، وامتد نشاطهم إلى كافة مناحى الحركة الاقتصادية.

مجموعة الكتيبات هذه لا تعتمد على التحليل الاقتصادى وحده، بل إنها تطمح إلى تقديم ما يشبه "البورتريه" المكثف، وتسعى إلى إذابة الجليد الذى طمرت سجلاتهم تحته، وتهيئة القارئ الذى يجهل هؤلاء الرواد لتقبل فكرة إعادة النظر فى جملة الثوابت التى شاعت عنهم بلا دليل، وهيمنت دون تعقل، وأسفرت عن أحكام ظالمة تجافى المنطق.

التاريخ الاقتصادى المصرى حلقات متصلة، ولا معنى للبحث عن مستقبل أفضل بمعزل عن إدراك معطيات الماضى ومتطلبات الحاضر، فالمسألة ليست صراعاً بين المراحل المتتالية، قدر ما هى تكاملية تعبر عن الامتداد. وتستثمر التجارب للنهوض وتجنب التعثر والارتباك.



وحدة التطوير المؤسسى
وزارة الاستثمار

شارع سالم سالم - المعجزة - الجيزة - ج.م.ع

تليفون: ٣٧٦١٢١٢٩ - فاكس: ٣٣٥٢٨٤٥

البريد الإلكتروني: smu@lmdc.gov.eg